آداب البحث والمناظرة فى ضوء آيات الذكر الحكيم

الدكتور

سيد فرج عبد الحليم

أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة

بكلية أصول الدين بالقاهرة

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد فمن المعلوم أن ديننا الإسلامي الحنيف رسالة عالمية، ومنهج رباني، ارتضاه الله تعالى للناس أجمعين، نزل به الروح الأمين على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد -عليه أفضل الصلاة والتسليم- لإنقاذ البشرية، وإصلاح الإنسانية، وعلاج المجتمع من علله الخُلُقية، وأمراضه الاجتماعية، التى فشت يومئذ بين الناس، ففرقت شملهم، وفككت أواصرهم، فنادى بوحدة العقيدة، ودعا إلى أمهات الفضائل، ونهاهم عن الرذائل، وهداهم إلى صراط الله المستقيم، وطريقه القويم، ليوثق روابطهم، ويوحد كلمتهم، ويعز سلطانهم، ويجنبهم مخاطر الشقاق، و آفة الفرقة والاختلاف. وذلك بما دعاهم إلى الإصابة فى القول والعمل، وبما منحهم من العلم والمعرفة، والحكمة وصحة الفهم، وقوة الحجة، التى يستطيعون بفضلها الدفاع عن الحق والعدل والخير، وإحراز النصر على المعاندين، وإفحام المكابرين، والقدرة على مناظرة الخصوم، والتغلب عليهم، وإبطال شبههم، وتفنيد مزاعمهم، وذلك بما سنه من مبادئ قويمة، وآداب ونظم حكيمة، هي أساس دعوة الحق، ومظهر العزة، وطريق القوة، وذلك نتيجة طبيعية للقناعة الفكرية والتأثير العقلي والعاطفي، الذى اتسم به منهج القرآن الكريم فى بيان علاقة الإنسان بالآخر. والذى يتجلى فيما امتاز به أسلوب المناظرة والحوار والجدال والمناقشة ، وفق المنهج الإسلامي، فكان أول منهج علمي يدعو إلى الحوار الهادئ، والمناقشة العقلية، والمجادلة بالتى هى أحسن، والمناظرة البناءة التى يكون الهدف من إجرائها الوصول إلى معرفة الحقيقة. وإقامةُ الحجة، ودفعُ الشبهة، والفاسد من القول والرأي، من خلال كشف كل طرف من المتناظرين ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

ومن هنا كانت المناظرة من أثرى الموضوعات التى عني بها القرآن الكريم، لأنها هى الطريق الأمثل الذى يتداخل مع جميع جوانب الحياة،ذلك أنّ الذات لا تتكامل إلاّ بوجود الآخر، والاعتراف به كشريك طبيعي في بناء الاجتماع

البشري، والحضارة الإنسانية.لأنه «إذا كانت العلة والهدف من تنوع الخلق هو التعارف والتعايش والتفاهم تحقيقاً لسنة الله فى التدافع، والتكاثر، والتنامي الذى لا يمكن أن يكون إلا بالتنوع، فإن آداب المناظرة بأشكالها ومسمياتها ومصطلحاتها المتعددة يصبح من لوازم الحياة، وضمان استمرارها، وإقامة العمران، والاضطلاع بأعباء الاستخلاف الذى يقتضى الاضطلاع به للتعارف، والتعاون، والتعايش،والتدافع" (١)

ومن ثم عدَّ الباري تعالى المناظرة أهم وسيلة للتقارب والتعارف والتواصل وعلاج المشكلات على الأصعدة كافة، وعلى جميع المستويات التى بها يتحقق التعارف ويعم السلام وتتحقق السعادة للمجتمع، إذ كيف يقنع المسلم مستمعيه، أو معارضيه بدون أن يناقش مناقشة موضوعية وفق المنهج العلمي الصحيح، وهو لم يحط علماً بقواعد هذا العلم الذى يقدر به من تعلمه على بيان موضع الغلط فى حجة خصمه، وعلى تصحيح مذهبه بإقامة الدليل المقنع على صحته أو صحة ملزومه، أو بطلان نقيضه ونحو ذلك" فالرد على أهل الباطل ومجادلتهم ومناظرتهم حتى تنقطع شبههم ويزول عن المسلمين ضررهم، مرتبة عظيمة من منازل الجهاد باللسان، والقلم أحد اللسانين" (٢) لذلك اعتبر العلماء أن التسلح بقواعد هذا العلم فرض على كل عالم، بل واجب مقدس، شأنه شأن الجهاد والدفاع عن العقيدة الإسلامية،لأنه" لا يحسن بحامل السنة الجهل بالبراهين العقلية النقلية لحراسة الدين والعقيدة من عبث الملحدين وكيد المبطلين" (٣)، ولأنه هو الوسيلة لبناء العقيدة الصحيحة والإيمان الراسخ فى نفس الإنسان، وعلاج المشكلات التى تعانى منها البشرية، فكم من دمار وحروب وعداوة وتباعد وتباغض وهدم وتفرق بسبب رفض المناظرة البناءة والمناقشة الموضوعية وفق المنهج العلمي الصحيح ، الذى هو أساس التعايش والتواصل والتفاعل مع الآخر،"لأنه لا يكفى إسماع الطرف الآخر ما لدي فقط وأتوقع منه القبول والتسليم. وإنما هو

١) مقدمة د.عمر عبيد حسنة لكتاب/ الحوار.. الذات والآخر/٥ د. عبد الستار الهيتي ط سلسلة كتاب الأمة ١٤٢٥هـ.

٢) الرد على المخالف،العلامة بكر أبو زيد/ ٤٠.

٣) مقدمة ابن خلدون /٤٣٠ ط دار الشعب

علاقة تفاعلية من الطرفين؛ فكل طرف يفتح عقلة وقلبه للسماع من الطرف الثاني، فقد يكون معه الحق،وإن لم يكن على حق فهي فرصة لأن تَتَعرَّف على الشبهات التى بنى عليها موقفه فتبين له وجه الحق فيها، أو تتعرف إلى مواطن الخلل فى طريقة تفكيره فتصلحها، فمهما عظم الخطأ ومهما كانت درجة الخلاف"(١) ففى المناظرة والمجادلة خير كثير، فهما "بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يهلك عليهما رأي ولا يتقبل معهما حزم"(٢)

وفى ذلك يقول ابن كثير فى تفسير قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾{النحل : ١٢٥}أي:من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب . "(٣)". والاصغاء إلى شبههم والرفق بهم في حلها ودحضها، ويحتمل بترك الغِلْظة عليهم في حال جداهم لتكون عليهم الحُجَّة أزهر، والجَحْد منهم أنكد، وهي سُنَّة الأنبياء عليهم السلام مع الأُمم عند الدعوة والمجادلة "(٤) ويقول ابن سعدي:" . . فإنْ كان المدعو يرى أنّ ما هو عليه الحق أو كان داعية إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها فإنّه أقرب إلى حصول المقصود وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها) (٥)

و يقول ابن تيمية فى حديثه عن معنى الآية السابقة "والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هي أحسن ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهذا واجب على الكفاية منهم. وأما ما وجب على أعيانهم، فهذا يتنوع بتنوع قدرهم وحاجتهم ومعرفتهم (٦)

١) الحوار أساس الوحدة/ د. عصام هاشم الجفرى/ ٢

٢) روضة العقلا ونزهة الفضلاء / محمد بن حبان ١/ ١٩٢، مكتبة السنة المحمدية / وجمهرة خطب العرب ٣/ ٥٩

٣) تفسير ابن كثير ٤/٥٣٢ ط دار التراث

٤) استخراج الجدل من القرآن الكريم / لأبن الحنبلي / ١٢ ط دار الإعلام الطبعة الأولى ،١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٥) انظر تفسير ابن سعدي /٩٣/٣

٦) درء تعارض العقل والنقل: للشيخ ابن تيمية ١/٥١-٥٢. ط مكتبة ابن تيمية القاهرة.

وفى هذا الصدد يستدل ابن حزم على وجوب الجدال والمناظرة بقول النبي ﷺ:(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم).[1]" ويقول:(وهذا حديث غاية فى الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة فى سبيل الله) ".[2]

ومن ثم عدَّ القرآن الكريم هذا العلم قاعدته الأساسية فى "دعوته الناس إلى الإيمان بالله وعبادته، وكذا فى كل قضايا الخلاف بينه وبين الآخر، إذ لا يمكن أن يُغلق باب من أبواب التواصل والمعرفة ولإقناع أمام الإنسان؛ لأنَّ الله جعل ذلك وحده هو الحجة على الإنسان فى الطريق الواسع الممتد أمامه،فى كل المجالات المتصلة بالله والحياة والإنسان"[3].

لهذا أكَّدَ القرآن الكريم هذا المبدأ بطرق عديدة، وأساليب مختلفة- كما سنرى فى هذا البحث-، كما أنَّ دعوات الرسل كلها كانت محكومة بالمناظرة والمجادلة مع أقوامهم، وقد أطال القرآن فى عرض كثير من أنماط هذه المناظرات بين الرسل وأقوامهم، ولم يستنكر القرآن في هذا الباب موقفاً كما استنكر رفض المناظرة والمجادلة والإصرار على عدم ممارستها،.فقال تعالى:﴿ "وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾" [الجاثية:٧-٩] ، وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾" [فصلت:٥] وقال جل شأنه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان:٦-٧] .

وليس هذا فحسب بل إنه قد تنوعت أساليب القرآن الكريم وتعددت

---

١) الحديث رواه " النسائي: الجهاد (٣٠٩٦) ، و أبو داود :الجهاد (٢٥٠٤) ، وأحمد (٣/١٥٣) ، والدارمي: الجهاد (٢٤٣١) " وصححه ابن حزم ، والنووي في " رياض الصالحين " ، والسيوطي في " الجامع الصغير " . انظر : فيض القدير (٣/٣٤٤)

٢) الإحكام في أصول الأحكام (١/٢٩).

٣) منهج الحوار فى القرآن الكريم/ عبد الرحمن الحللى /٢

فى الدعوة إلى المناظرة، وفى توجيه العقل البشرى إلى الأسلوب الأمثل فى تقرير الحق وإبطال الباطل، والطريق الأفضل للمناظرة والمجادلة. على وجه معجز لا نظير له، فلم يكن " حديثُ القرآن عن المناظرة حديثاً عَرَضيا، بل اهتم بها اهتماماً كبيراً من حيث المنهج والقواعد التي ينبغي أن يسير عليها، وعَرَض لأساليبه ونماذجه بنظرة متكاملة ، مما يعطى المتأمل فيه الدلالة الواضحة البيِّنة لقواعد علم المناظرة وأصوله من خلال القرآن الكريم"[1] الذى تنوعت أساليبه، فلم يقتصر على جانب دون آخر، وإنما اتسعت دوائره، ووضحت قضاياه، وشملت مالا يحصى من المسائل، وذلك بما جاء فيه من الأدلة العقلية الصريحة على أصول العقيدة من التوحيد والنبوة والمعاد، ومن ضرب الأمثلة، وذكر شبه أهل الباطل على اختلاف مللهم، فما من رسول أو نبي إلاَّ وقد ناظر قومه وحاجَّهم وجادلهم في إثبات صحة ما يدعوهم إليه. فقد حاجَّ إبراهيم عليه السلام النمرود، كما حاجَّ قومه. وجادل نوح عليه السلام قومه حتى قالوا له ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ {هود:٣٢} وقد أمر الله تعالىَ نبينا الكريم ﷺ بمجادلة المشركين ودعوتهم إلى الحق، فقال تعالى:﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ {النحل:١٢٥}. كما أمر تعالى بمجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالحكمة والموعظة الحسنة كما جاء فى قوله تعالى:﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ......﴾{العنكبوت:٤٦} فالغلظة فى المناظرة والجدل لا تزيد الطرف الآخر إلاّ نفوراً وعناداً وتعصباً، وتمسكاً بالباطل كما أوضحه البارى تعالى بقوله﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ.﴾ { آل عمران: ١٥٩}.

وعلى ذلك ينبغى أن ننبه هنا إلى أن علم المناظرة هو علم إسلامي شكلاً وموضوعاً، وأنه لا يمت بصلة ولا ينسب إلى الجدل عند اليونان، ذلك أن الجدل الإسلامي: هو قواعد عقلية بالغة الدقة وضعها المفكرون المسلمون لهدف معين محدد هو ضبط عملية المناظرة والحوار للوصول إلى اليقين، وفى هذا الإطار علم إسلامي بحت"[2] يختص بدراسة الفعالية التناظرية الحوارية من خلال تقعيد قواعدها المنطقية وشروطها الأخلاقية بقصد تطوير أسلوب المباحثة التي تتم بين طرفين يسعيان إلى إصابة الحق فى ميدان من ميادين المعرفة، حيث يواجه كل طرف الطرف الآخر بدعوى يدعيها

---

١) نفس المصدر /٢

٢) طبيعة الحوار فى القرآن الكري – د. شوقي إبراهيم عبد الله /٢٢٨ حولية كلية أصول الدين/ العدد الرابع

ويسندها بجملة من الأدلة المناسبة، مواجها في ذلك اعتراضات الخصم. فعلم المناظرة كما قال أبو الخير فى: (مفتاح السعادة): هو علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين. وموضوعه : الأدلة من حيث أنها يثبت بها المدعى على الغير ومباديه أمور بينة بنفسها.والغرض منه : تحصيل ملكة طرق المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث فيتضح الصواب " [1]

وفى هذا البحث نتناول بالعرض والتحليل أهم القضايا المتعلقة بأدب البحث والمناظرة وتطبيقاتها فى آيات الذكر الحكيم، من خلال دراسة موجزة وفق المنهج الإسلامي، والأسلوب القرآني الذى كان أول منهج علمي عقلي يدعو إلى المناظرة والحوار بالتى هى أحسن.

ولم أقصد بهذه الدراسة أن أتناول ما استظهره القرآن الكريم من جميع جوانبه فى هذا المجال، فهذا يحتاج إلى بحث مطول، واستقراء لجميع الآيات التى تناولت المناظرة ومشتقاتها، من خلال آيات الذكر الحكيم التى تبين منهجه، وأصوله وأساليبه...وإنما أردت أن أبين متى تكون المناظرة وجهاً من أوجه الدعوة إلى الإسلام، والبحث عن الحق، والتعارف والتواصل، والتعايش ومتى تكون ضرباً من الخصام، الذى يذم أهله، ويؤدى إلى الاختلاف الشديد بين المتناظرين، إلى درجة يصعب التوفيق بينهما،نتيجة لتعصب كل منهم لرأيه، فكان منهج القرآن الكريم تأصيلا وتوضيحاً للمناظرة التى يكون هدفها الوصول إلى الحق والدفاع عنه، وتوضيحه، والانتصار للعدل، الذى هو الحق، وقد أردت من ذلك إزاحة الستار عن جانب من جوانب المناظرة فى القرآن الكريم.وتبيان مدى أصالة الرؤية الإسلامية في جعل المناظرة منهجا من مناهج العرفان، وطريقا إلى إدراك الحق في ذاته، وأصالة القرآن الكريم في احترام الآخر، سواء كان شيطاناً أو ملاكاً أو إنساناً يتفق أو يختلف في العقيدة والدين أو الرؤية والإدراك حتى يكون الأمر عليه حجة بالغة. وعلى ذلك فإذا كان علم المناظرة فى القرآن الكريم يحظى بهذه المكانة الرفيعة، والدرجة الكبيرة من الاهتمام. وجب علينا قبل أن نسترسل فى عرض الموضوع أن نقف على معنى المناظرة والمصطلحات ذات الصلة الواردة فى البحث؟

[1] مفتاح السعادة: ./٢/ ٣٢ ط دار الكتب الحديثة / ووكشف الظنون : ١/١

المبحث الأول
أهم المصطلحات الواردة فى البحث

أولا تعريف المناظرة فى اللغة

المناظرة مصدر ناظر فلاناً :باحثه وباراه فى المحاجة" [1] وهى" من النظير أو من النظر بالبصيرة" ، وعرفها ابن منظور بقوله: " أن تناظر أخاك في أمرٍ إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه [2]".

وهى بهذا المعنى تفيد أن النظر يقع في المحسوسات والمعاني، فما كان من المحسوسات فالنظر إليه بالبصر، وما كان من المعاني، فالنظر إليه بالبصيرة والعقل.فمن النظر بالبصر قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ {٢٣}﴾{القيامة/ ٢٢:٢٣} ومن النظر بالبصيرة وهو التفكر والتدبر قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ﴾ {الأعراف/ ١٨٥}وقوله: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ {١٠١}﴾ [يونس: ١٠١] ويطلق النظر ويراد به الانتظار فيقال:

نظرت فلاناً وانتظرته ومنه قوله تعالى ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ { الحديد/ ١٣}وقوله: ﴿ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ {الحجر/٨} وقوله: ﴿ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ {٢٩}﴾{السجدة/٢٩} ونحوها. ويطلق النظر ويراد به الإبصار، وهذا إشارة إلى أن كمال المناظرة رؤية كل مناظر لصاحبه. ويطلق النظر ويراد به الالتفات، وفيه إشارة إلى وجوب تأمل كل مناظر لكلام صاحبه والالتفات إليه، ولا يدفعه قبل ذلك. ويطلق النظر ويراد به المقابلة: ولعل فى هذا إشارة إلى أن يجلس كل مناظر قبالة صاحبه حتى لا يشعر أحدهما بعدم المساواة. ويقال للمناظرة مماراة؛ لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه " [3]

المناظرة اصطلاحا:

وأما المناظرة فى الاصطلاح: فهى المحاورة فى الكلام بين فريقين أو شخصين مختلفين حول موضوع ما، لكل منهما وجهة نظر تخالف وجهة نظر الآخر، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما فى معرفة الحق، فكأنهما بالمعنى

[1] المعجم الوسيط : مادة نظر

[2] لسان العرب مادة : نظر /٥/٢١٧.

[3] النهاية فى غريب الحديث ٤/ ٣٢٢

١١٦٠الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم أو غلبة ظن ليظهر الصواب" [1]

وعرفها الجرجاني بقوله: " النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب ". [2]

وقال الراغب في المفردات (المُناظَرَة: المُباحَثةُ والمُباراة في النَّظَر واستحْضارُ كلّ ما يراه ببَصيرته.

والنَّظَر: البحثُ، وهو أعمُّ من القياس لأن كلّ قياس نَظَرٌ وليس كلّ نَظَرٍ قياس) [3]

ويتبين مما ذكرنا أن المناظرة تفيد النظر والتفكر في الأمور والبحث عن الحق عن طريق المحاورة مع الآخرين.وحوار المناظرة يكون بين شخصين أو فريقين حول موضوع معين، بغية الوصول إلى تبيان الحق وكشف الباطل، مع توافر الرغبة الصادقة في ظهور الحق والانصياع له. ويظهر لنا معنى الترابط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للمناظرة في كون المناظرة يحصل بها التدبر والتفكر والبحث، كما أن فيها معنى التقابل بين المتناظرين وبين أدلتهما وقوليهما، وفيها معنى الانتظار لكون كلٍ من المتناظرين ينتظر صاحبه حتى يتم كلامه، ثم يجيب عنه ويناظره فيه ، كما أن فيها معنى النظر الحسي، فكل من المتناظرين غالباً ينظر في مناظره ليسمع كلامه ويستوعب قوله وحجته.

وقد يعبر عنها بعلم "الجدل" لأن المجادل مناظر أيضا، وربما يفرق بينهما بأن الجدل لا يكون إلا بين اثنين متحاورين، والمناظرة قد تكون من جانب شخص واحد يتأمل ويستنبط لنفسه.والغرض من المناظرة: هو إثبات الحقّ والدفاع عنه، بالحجّة والبرهان، فإنّ عَرْض الحق يتطلب أن يكون بالأدب والمنطق الأحسن من الأقوال والألفاظ؛ وإن مثل المتناظرين كمثل رهط أضاعوا راحلة في فلاة، فانطلقوا يبحثون عنها، فكان همّهم العثور عليها، فإذا ظفروا بها، كانوا جميعا ظافرين. وعلى ذلك إن كان الغرض منها مجرد إفحام الخصم والتغلب عليه فهي حرام وممنوعة، وإن كانت المناظرة لإظهار الحق أو لإلزام الخصم بالحق والصواب فهي مشروعة،وتكون

[1]) آدب البحث والمناظرة. للشيخ محمد الأمين / ٣ وانظر أصول البحث والمناظرة – ١٤ د.طلعت الغنام / مطبعة الفجر الجديد

[2]) التعريفات / ٢٩٨.

[3]) المفردات في غريب القرآن: – للراغب الأصفهاني٥١٨ ،و تاج العروس ١/ ٣٥٥٤

فرض كفاية ، لأن إظهار الحق مصلحة عامة ومن فروض الكفاية، ويدل عليه قوله تعالى﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت:٤٦] [1]

ثانيا:المصطلحات ذات الصلة.

وهناك عدد من المصطلحات الآخرى ذات صلة للمناظرة كثيراً ما تُستخدم مع مصطلح المناظرة، أو بديلاً لها، خاصة إذا أدخلنا في الاعتبار أمراً آخر وهو الدعوى التي تقول بأن اللغة تحمل سمات فكر من يتكلمونها، فإن غنى معجم المناظرة في اللغة العربية ليدل بحق على تداول المسلمين الأغلب لهذا المنهج الجدلي، والتزامهم به أكثر من غيره في تحصيل المعرفة وتبليغها، ونذكر من هذه المعجم على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر مجموعة المفردات التالية، وهي، "المحاورة" و"المخاطبة" و"المجادلة" و"المحاجة" و"المناقشة" و"المنازعة" و"المباحثة" و"المجالسة" و"المراجعة" و"المطارحة" و"المساجلة" و"المعارضة" و"المناقضة" و"المداولة" و"المداخلة" وأخرى غيرها كثير [2].

و لنا أن نتساءل: هل١١٦١ يوجد فرق بين المناظرة والجدال والحوار والمناقشة...:

والجواب على ذلك:أنه قد سبق أن قلنا: إن المناظرة هي المفاعلة بين اثنين، كل منهما ينظر إلى الآخر، أو كل منهما ينظر بمعنى يفكر، والفكر: هو المؤدي إلى علم أو غلبة ظن. فالمناظرة هي حوار و مناقشة يشترك فيها اثنان او مجموعتان يتبنى كل واحد رأيا مخالفا يحاول أن يعرضه مع براهين تأييداً لرايه ودحضا لرأي خصمه

أمّا الجدال أو المجادلة: فقد دار معناه في اللغة حول المنازعة والمغالبة بين طرفين، يريد كل منهما أن يقنع الآخر برأيه، فالمجادلة: مفاعلة من الجدل وهو إقامة الدليل على رأي اختلف فيه صاحبه مع غيره .

يقول ابن منظور: "الجدل:اللدَدُ في الخصومة والقدرة عليها، ويقال: جادلت الرجل فجَدَلته جَدْلاً: أي غلبتُه، والاسم: الجَدَل " [3]

[1]) انظر أدب البحث والمناظرة: د. أحمد الطيب. www.albahaedu.gov.sa/vb/showthread.php?t=٧-

[2]) تاريخ الجدل / للشيخ أبو زهرة /٥ أسلوب المحاورة د. عبد الحليم حفني /١٢ الحوار أشكاله وعناصره د. سعيد إسماعيل /٧ والمقدمة، ابن خلدون ط. القاهرة، باب الجدال/. ٤٥٧-٤٥٨,٢.

[3]) لسان العرب– ابن منظور– مادة جدل – دار المعارف

والجدل بمعنى: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة. يقول ابن منظور: " "الجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، المراد به الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لا إظهار الحق فإن ذلك محمود لقوله عزّ وجل: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ ويقال: إنه لجَدِل إذا كان شديد الخصام " [١] والجدال والمجادلة مصدران من باب المفاعلة ولوحظ فيهما المعارضة والمخاصمة بين المحق والمبطل في إثبات شيء أو نفيه. وإطلاق الأمر بالجدال يقتضي وجوبه.

أما اصطلاحاً:

فقد اختلف العلماء فى تعريف الجدل اصطلاحاً، فقد عرَّفه الجرجاني بأنه: "القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان" [٢]

ويقول الراغب الأصفهاني: و" الجدل: المفاوضة على سبيل المنازعة، وأصله من جَدَلَ الحبل أيْ إذا أحكمت فتلَه؛ ومنه الجديل..وجدلت البناء: أحكمته،فكأن المتجادلين يفتل كل منهما الآخر لرأيه" [٣] وهو مستعمل فى الأصل لمن خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ثم استعمل فى مُقابلة الأدلة لظهور أرجحها.

وهناك تعاريف اصطلاحية آخرى: قيل إنه: "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة". [٤] وقيل: إن المجادلة هى المنازعة لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم" [٥]

والصواب أن يقال: إظهار المتنازعين مقتضى نظرهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة" [٦]

العلاقة بين الجدل والمحاورة والمناظرة:

وقد حدث خلاف بين العلماء؛ فى الجدل والمجادلة والجدال والمناظرة هل هي بمعنى واحد أو هناك فرق بينها، فيرى

١) لسان العرب، مادة – جدل.
٢ التعريفات، الجرجاني /١٠٢.

٣) معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم –٨٧ للراغب الأصفهاني ط دار الفكر بيروت
٤ التعريفات / ١٠٢.
٥) الرسالة الشريفة فى أدب البحث والمناظرة/ ١٨ انظر تفصيل ذلك فى حولية كلية أصول الدين/ ٢٣٨ العدد الرابع
٦) الكفاية فى الجدل – إمام الحرمين الجويني ٢٠–٢١ تحقيق د. فوقية حسين ط الحلبي ١٩٧٩

الإمام " الجويني" أنه لا فرق، فالكل بمعنى واحد، ويرى صاحب المواقف أن "النظر غير الجدل فإن الجدل هو المباحثة لإلزام الغير والنظر هو الفكر ولا يلزم من كون الجدل منهيا عنه كون النظر كذلك كيف وقد مدحه الله تعالى بقوله﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً﴾ {آل عمران/١٩١} فيكون مرضيا لا منهيا" [١] ويرى المتأخرون أن الفرق بينهما بالغاية،لأن غاية المناظرة: هي الوصول إلى الحق، وغاية المجادلة: إلزام الخصم. وهناك من يرى أن الفرق بين الجدال والمناظرة باعتبار القصد والنية، فالمقصود من المناظرة هو ظهور الحق فى المطلوب، أما مقصود المجادلة المذمومة فهو رجوع الخصم إلى قول المجادل"[٢].وعلى ذلك فالمجادلة والمناظرة معنيان قريبان من المحاورة،.، فالمجادلة مشتقة من الجدل، جدل الحبل أي فتله،والمراد أن المجادل يريد أن يجدل صاحبه وأن يفتل مجادله ليأخذه إلى رأيه وليقنعه بفكرته، والمناظرة هي النظر فى الأمر بين اثنين رغبة فى أن يكون نظر أحدهما هو الذى يقدّم عند الآخر أو يقبل عند الآخر، والمجادلة والمحاورة أيضاً بمعنى قريب من هذا.وقيل فى الفرق بين الجدال والمناظرة: "أن المتجادلَين لابدّ أن يكون أحدهما مبطلاً، والمناظرة قد تكون بين محقَّين" [٣]وقيل : إن الجدل احتجاج باللسان أما النظر فقد يكون بالفكر بالقلب والعقل"[٤]

لكنه ذهب بعض العلماء إلى أن " المحاورة أعم من المناظرة، وكل من المحاورة والمناظرة حوار. وإذا وُجد في الحوار محاجة أو مجادلة أوخصومة أو نزاع كان مناظرة "[٥].وذهب آخرون إلى أن الحوار والمناظرة متساويان، من حيث كونهما يخلوان جميعاً من المنازعة والمخاصمة[٦] .وذهب فريق ثالث إلى التفريق بين المجادلة والمناظرة، فالمناظرة حسب تصورهم لا تدل على الخصومة[٧]

١) المواقف/ ١/١٦٠–١٦١
٢) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ٢/ ٤٢٥

٣) بهجة الخاطر ونزهة الناظر فى الفروق اللغوية والاصطلاحية/ للشيخ يحيى بن حسين البحراني / تحقيق السيد امير رضا عسكري زادة : ١٨٧ ط مؤسسة الطبع والنشر للآستانة الرضوية.
٤) البحر المحيط فى أصول الفقه / ١/ ٤٣
(٥)الحوار والمناظرة في القرآن الكريم ، خليل عبد المجيد زيادة/ ١٨ القاهرة : دار المنار ١٤٠٦ هـ
(٦) تاريخ الجدل / للشيخ أبو زهرة ص١٦٦–١٦٨؛ آدب المناظرة ، ٢٥، ٦٤
(٧)الحوار : أصوله المنهجية وآدابه السلوكية أحمد بن عبد الرحمن الصويان/ ١٧الرياض : دار الوطن ١٤١٣هـ

١١٦٤ في حين يرى آخرون أنهما سواء؛ لأنهما جميعاً تتضمنان الخصومة والعناد(١)

في حين ذهب فريق رابع إلى القول بأن الكلمات الثلاث مترادفات، جاءت بمعان متقاربة، وإذا أطلقت تعني الشيء المذموم. وهي من حيث كونها إلى الذم أميل تأتي بالترتيب التالي: المراء أولاً ثم المحاجة ثم الجدال(٢). في حين يرى الراوي أن الجدل والحوار والمناظرة مترادفات(٣)

وقد ورد لفظ الجدل في القرآن باشتقاقات مختلفة، جاء مضارعاً، وماضياً، وأمراً، واستفهاماً. كما ورد مصدراً بصيغ مختلفة، جَدَلا، وجِدالا.

والملاحظ من استعمالات القرآن الكريم أن الجدل على نوعين: محمود، ومذموم.

أما الجدل المحمود: فهو ما كان لإظهار الحق والصواب. كما يقول الفخر الرازي: " الجدل الممدوح. محمول على الجدل في تقرير الحق، ودعوة الخلق إلى سبيل الله، والذب عن دين الله تعالى" [٤]

وهذا الجدل دعا إليه القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾{النمل: ١٢٥} وقال وتعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ {العنكبوت: ٤٦} وهو بهذا المعنى يطلق ويراد منه المناظرة، لأنه مقيد بالتي هي أحسن، حتى يكون هادفاً ومقنعا ومناقشاً لشبهة المدعوين. وقال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ {١} ﴾{ المجادلة: ١} فقد جاءت الصيغة هنا بمعنى الحوار الهادىء. فالجدل والحوار يشتركان في إيضاح الحق والصواب، إذ أريد بالجدل معرفة الصواب. وتلك هي المناظرة المشروعة التي شرعها القرآن الكريم في كثير من آياته

وعلى ذلك فالحوار والجدال بمعنى واحد، وقد اجتمع اللفظان في هذه الآية. ويراد بالحوار والجدال في مصطلح

(١) تعليق على الرسالة الموضوعة في آداب البحث/ أحمد مكي.: / ٥،٤جمعية النشر والتأليف الأزهرية ١٩٣٥م .

(٢)أدب الحوار والمناظرة / علي جريشة / ٢٣-٢٨ المنصورة : دار الطباعة للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩١م .

(٣)أسس وتقاليد الحوار العلمي في التراث العربي ، /عبد الستار عز الدين الراوي /٨٢: جامعة بغداد ١٩٨٩م.

[٤]) التفسير الكبير – للإمام فخر الدين الرازى- ٢/ ٢٥٢ ط دار الفكر بيروت ط أولى سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م

الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّة، وإثبات حق ، ودفع شبهة، ، وردُّ الفاسد من القول والرأي" [١]

وأما الجدل المذموم: وهو الغالب استعماله في القرآن فهو الجدل القائم على المنازعة بالباطل لا لإلزام الخصم بالحق ولكن للتغلب عليه. وهذا النوع من الجدل يقول الله تعالى عنه ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ {٨} ﴾ "الحج :٨" وقال تعالى ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾{البقرة : ١٩٧}

يقول الفخر الرازي: الجدال المذموم محمول على الجدل في تقرير الباطل، وطلب المال والجاه" [٢]وهو بهذا المعنى يسمى مكابرة، لأنه لا يكون الغرض منها إلزام الخصم، ولا الوصول إلى الحق، بل اجتياز المجلس والشهرة، أو مطلق اللجاجة أو غير ذلك من الأغراض التي لا تغني في الحق فتيلا"[٣]

[١]) أصول الحوار وآدابه / صالح ابن حميد/٣

[٢]) التفسير الكبير – للإمام فخر الدين الرازى- ٢/ ٢٥٢

[٣]) تاريخ الجدل – للإمام محمد أبو زهرةَ/ ٥ دار الفكر العربى

١١٦٥ وعلى هذا فالجدال قد يكون حقاً وواجباً وهو الجدال الحسن، الذي أمر الله تعالى به في كتابه، لأن الغرض منه تبيان الحق، والرد على الطاعنين على الحق، وهنا يكون الجدال حقاً وواجباً ومحموداً.

وقد يكون الجدال باطلاً ومذموماً، وهو الذي يكون المقصود والغرض منه هدفاً غير إظهار الحق، والرد على الطاعنين على الحق، وهنا يكون الجدال ممنوعاً. وتلك هي المناظرة غير المشروعة التي تخالف ما وضعه القرآن الكريم من ضوابط ومقاييس للمناظرة المشروعة التي دعا إليها القرآن في الجدل المحمود.

وذلك فيما إذا كانت لاثبات باطل أو للغلبة على الحق أو كانت عن غير علم ، ونحو ذلك .

وعلى ذلك فالأصل في الجدال والمحاجة أو المراء أنه مذموم، لوروده في أكثر الآيات وصفاً للكفار، أو للذين لا يتقبلون أوامر الله" [٤]. وقد ورد لفظ الجدل ومشتقاته، في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعا .

[٤]) نحو نظرية للتربية الإسلامية / للمستشار على جريشة ١٨١ ط مكتبة وهبة١٩٨٦م

إلا أن القرآن قد أباح لوناً من الجدال." وصفه مرة بأنه " أحسن" وأخرى بأنه " عن علم" وثالثة بأنه ظاهر"

أما الأولى:فقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت/٤٦]. قال الشوكاني رحمه الله : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: إلا بالخصلة التي هي أحسن وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله — عز وجل — والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء إجابتهم إلى الإسلام لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بأن أفرطوا في المجادلة ولم يتأدبوا مع المسلمين فلا بأس بالإغلاظ عليهم والتخشين في مجادلتهم"[1]

وأما الثانية- فقوله تعالى ﴿ هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾[آل عمران:٦٦]، فقد أنكر الثانية لكنه لم ينكر الأولى. لأن هذه محاجة.

وأما الثالثة-فقوله تعالى: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا {٢٢} ﴾: [الكهف: ٢٢][2]

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه يوجد فرق بين هذه الآيات، ذلك أن الآية الأولى تشير إلى الجدال، والثانية إلى المحاجة،والثالثة إلى المراء: وقيل فى الفرق بين الجدال والمراء: أن المراء مذموم.لأنه مخاصمة فى الحق بعد ظهوره-كمري الضرع بعد دروره-وليس كذلك الجدال، والمحاجة، هي مجادلة إظهار الحجة" [3]

- ورد لفظ الحوار فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع، اثنان منها فى صيغة الفعل وهما قوله تعالى، فى سورة الكهف:﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ [من الآية:٣٤]،وقوله تعالى فى السورة نفسها:﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرتَ بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ (من الآية: ٣٧)،والثالث فى صيغة المصدر فى قوله تعالى فى سورة المجادلة : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ (المجادلة، من الآية:١).

١) فتح القدير ٤/٢٠٥.

٢) المصدر السابق/ الصفحة نفسها

٣) بهجة الخاطر ونزهة الناظر فى الفروق اللغوية والاصطلاحي/ للشيخ يحيى بن حسين البحراني/ ٤٠ تحقيق أمير رضا عسكرى.

على" حين ورد لفظ الاختلاف ومشتقاته في القرآن تسعاً وثلاثين مرة.

ولعل السر فى هذه المساحة الواسعة التي أخذتها كلمة"الجدل" بمختلف مصطلحاته في القرآن الكريم، يكمن فيما واجهه الإسلام من قضايا أو عاش فيه الإنسان من مواقف، فقد واجه الإنسان التحديات الفكرية والتقليدية التي تعيش في وعي الإنسان وفكره، لتنقله من ظلمات الشك والكفر والضلال إلى نور الإيمان والتوحيد والهداية.كما أنه واجه التحديات الخارجية من القوى الدينية والاجتماعية والسياسية التي كانت تسيطر على حياة الإنسان فى المجتمعات التي لم تكن تؤمن بالإسلام، وعلى هذا الأساس وقف الإسلام فى وجه كل هذه التحديات، ليرد التحدي بمثله من موقع الرغبة في الوصول إلى الحق، وإفساح المجال للأفكار بأن نلتقي بمفاهيده، لا بد من موقع الرغبة في الغلبة من أجل حب الغلبة،ولكن من موقع الإقناع والاقتناع[1]

وقد تظاهرت آيات القرآن الكريم بالكثير من نماذج المناظرات بين الرسل- عليهم السلام - وبين المخالفين كما سيأتي ذلك.

وإن مادة (القول) والتي وردت فى مئات المواضع من القرآن العظيم ما هي إلا نماذج عملية وتطبيقية لفن المناظرة، فالآخرون يطرحون تشكيكهم وشبهاتهم ونجدها تبدأ بلفظ و(قالوا) والنبي ﷺ – مأمور من الله — جل وعلا — بالإجابة عليهم ورد شبههم بكلمة (قل) كما جاء ذلك فى آيات كثيرة: [2] ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا" ﴾ [الفرقان: ٢١]. ويقول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ {الأنعام: ٣٥} ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ {سبأ: ٤٦} وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ {البقرة: ١٣٩}.

١) الحوار في القرآن /محمد حسين فضل الله: ١ / ١٦/ ١٧ دار المصوري للنشر الجزائر، من دون تاريخ.

٢) انظر لغة الحوار فى القرآن الكريم / د. أبو زيد الإدريسي، ٨.

أما المناقشة: فمن الشائع بين كثير من الناس استعمالها فى معنى المحاورة، وهذا خطأ فى الإستعمال، لأن لفظ المناقشة عند علماء اللغة استيفاء الحساب، والحساب يكون بين طرفين عادة ، ولكن استيفاءه يكون فى العادة لمصلحة أحد الطرفين فحسب، فمناقشة أحد الطرفين للآخر فى اللغة معناها أن يستقصى محصيا ومستوعبا كل ماله على الآخر، ويستشهد على ذلك صاحب أساس البلاغة بقول عائشة رضى الله عنها " من نوقش الحساب عذب "[1] بمعنى أن من أحصيت واستقصيت أعماله ليحاسب عليها حساباً عادياً دون أن يتداركه عفو الله وغفرانه فلا بد أن يصيبه العذاب، ولكن كثيراً من المستقفين يستعملونها مرادفة للمحاورة وهذا خطأ نشأ من شيوعها فى التخاطب بين الناس "[2]

أما الحوار فهو فى اللغة: بمعنى المُراجعة فى الكلام. وجاءت الكلمة فى المعاجم اللغوية بمعانٍ متعددة كما يقول صاحب لسان العرب [3]: " الحوار بمعنى الرجوع عن الشيء إلى الشيء ، وحار إلى الشيء: رجع، ومنه قوله تعالى﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ "الإنشقاق: ١٤" "وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام.

والمحاورة مراجعة المنطق والكلام فى المخاطبة، والمَحُورَةُ من المُحاوَره مصدر كالمَشُورةِ مِن المُشاورة. والمحاورة:المجاوبة، والتحاور: التجاوب، ومنه قوله تعالى: ﴿فقال له صاحبه وهو يحاوره﴾أى يراجعه الكلام ويجاوبه" [4]

والحَوْر أيضاً بمعنى النقصان بعد الزيادة، لأنه رجوع من حال إلى حال، وفى الحديث قوله ﷺ (اللهم إنى أعوذ بك من الحَوْرِ بعد الْكَوْرِ) [5] يعني : نعوذ بالله من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة[6]

[1]) أساس البلاغة ٧/ ٢٠٨ ط مصطفى الحلبى والحديث رواه البخاري فى صحيحة .ك. الرقاق- ب. "من نوقش الحساب عذب"فتح البارى- ١١/ ٤٠٠ وصحيح مسلم -٤/ ٢٢٠٤- رقم ٢٨٧٦:

[2]) أسلوب المحاورة فى القرآن - د. عبد الحليم حفنى / ١٤

[3]) لسان العرب -٢/ ٢١٦ مادة- حور

[4]) لسان العرب/ مادة - حور

[5]) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٠٥/٤ صحيح ابن خزيمة ك. الوضوء ب. الدعاء ثم الخروج إلى السفر.٤/ ١٣٨، سنن الترمذى ب. مايقول إذا خرج مسافراً٥/ ٤٩٧، سنن النسائى ط. الطهارة-ب- الإستعاذة من سوء العمر ٢٧٢/

[6])فتح القدير ٥/ ٥٧٥، وعمدة القارى ٨/ ٩٠

وبناء على ما مر يتبين لنا أن معنى كلمة حوار تدور حول الرجوع والمراجعة والرد والمجاوبة.فهي تستوعب كل أنواع التخاطب وأساليبه سواء أكانت منبعثة من خلاف بين المتحاورين أم عن غير خلاف، لأنها إنما تعنى المجاوبة والمراجعة فى المسألة موضوع التخاطب، وهو وليد تفاهم وتعاطف وتجاورب كالصداقة، وبعبارة أخرى، فإن الحوار لا يمكن أن يكون إلا بين أطراف متكافئة تجمعها رغبة مشتركة فى التفاهم، ولا يكون نتيجة ضغط أو ترغيب، ولذلك كان الحوار أعم من الجدل، وقد صار له معنى حضاري بعيد عن الصراع، إذ الحوار كلمة تتسع لكل معانى التخاطب والسؤال والجواب.[1]

أما من الناحية الاصطلاحية:

فهو علم يتعلق بقواعد نظرية وأخلاقية تضبط المباحثات والمناظرات لاستبعاد الخطأ والشك من النتائج التى يتوصل إليها المتناظران" وذلك لأنها " محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد. لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة. أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر " [2]

وقد ذكر الحوار فى القرآن الكريم على خمسة أضرب، وقد يكتنف الضرب الواحد مدح وذم باعتبارات مختلفة :

- فقد ذكر الحوار فى القرآن على وجه العموم؛ سواء أكان ذلك بذكر لفظ الحوار أم مشتقاته، أم بذكر وصفه وما جرى فيه من أقوال للمتحاورين.

- ويأتى كذلك مراراً: بلفظ المجادلة - و المخاصمة، وأصل المخاصمة المنازعة، فإذا جاءت فى الحوار دلت على نوع خاص من الجدال، وهو الذى يتنازع الحقَ فيه أكثر من طرف.

- ويأتى بذكر المحاجة، وهي ضرب من المخاصمة، فالتنازع فى المخاصمة قد تكون معه محاولة الإتيان ببرهان، أو لا تكون، كأن يكون التنازع بنحو رفع الصوت، أو مجرد الادعاء، فإن كان التنازع بالحجج والبراهين لكل من المتحاورين كانت المحاجة: إذ كل واحد من المتحاورين ينازع الآخر البرهان أو

[1]) أدب الاختلاف فى الإسلام/ ٩

[2]) انظر الحوار الإسلامي المسيحي/ ٣٠ بسام داود عجك ط در قتيبة ط أولى ١٩٩٨م

١١٧٠ الحجة، ويزعم أن الحق حيث حجته وبرهانه.

– ويأتي مراراً: بلفظ المماراة، وهي مجادلة ومنازعة وطعن في قول الآخر؛ تزيينًا للقول وتصغيرًا للقائل بخلافه، ومنه قول الله _تعالى_: ﴿فلا تمار فيهم إلاّ مراءً ظاهراً﴾ { الكهف / ٢٢} والمراد: لا تُجادلهم على نحو التجهيل والتعنيف، إلاّ جدلاً وفق ما أظهرنا لك، كقولك لهم: لا، لم يكن أصحاب الكهف ثلاثة ولا خمسة، وهذا القول فيه معنى المراء اللغوي؛ لكونه يتضمن تكذيباً وتجهيلاً لمدعى خلافه، وقد خرج عن أصل المراء المذموم؛ لأنه لا مجال لتكذيب القرآن أو التساهل في تقرير ما قرر وكل هذه من أقسام الحوار" (١) مع التنبيه على أن أغلب ما يجيء الحوار في القرآن الكريم بلفظ الجدال، والتحاج أو المحاجة، أو بلفظ المراء."

أما المحاجة: فهي تثبيت القصد والرأي لما يصححه" (٢) والمحاجة مأخوذة من الحج وأصل الحَج: " الغلبة بالحُجَّة " يقال: حجَّه يحجُّه حجّاً إذا غلبه على حجّته. وفي الحديث: " فحجَّ آدمُ موسى "(٣) أي غلبه بالحجَّة، والحجّ: كثرة الاختلاف والتردُّد، وقد حجَّ بنو فلان فلانًا إذا أطالوا الاختلاف إليه، وتقول: حججتُ فلانًا إذا أتيتَه مرّةً بعد مرّة، فقيل: حَجُّ البيت؛ لأنهم يأتونه كلَّ سنة. وفي حديث الدجال في مسلم " إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه " أي محاججه ومغالبه بإظهار الحُجَّة (٤).

وأما الحجة: فهي أسم لما يحتج ويُستدل به، وهي عبارة عن دليل الدعوى، وقد تُطلق على الشبهة لأنها مستند لمخالفة" (٥)

والفرق بين المناظرة والمحاجة: أن المناظرة في ما يقع بين النظيرين، والمحاجة إظهار الحجة" (٦)

١) مقاييس اللغة / للعلامة أحمد بن فارس الرازى ١٧٩/٤ تحقيق عبد السلام هارون.

٢) التعاريف ١/ ٦٤٠

٣) روى البخاري، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى، ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه

٤) تاج العروس مادة حجج، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١ / ٨٩٥).

٥) استخراج الجدل من القرآن الكريم / الإمام ناصح الدين أبي الفرج الأنصاري المعروف بابن الحنبلي /٦٢ ط دار الإعلام

٦) بهجة الخاطر ونزهة الناظر في الفروق اللغوية والاصطلاحي / للشيخ يحيى بن حسين البحراني /

وأما البحث والمباحثة: أصل البحث التفتيش والكشف، والطلب، يقال: بحثت عن الأمر وبحثت كذا، قال الله تعالى: ﴿ فبعثَ الله غرابًا يبحث في الأرض﴾{المائدة: ٣١}وقيل: بحثت الناقة الأرض برجلها في السير: إذا شدّدت الوطء، تشبيها بذلك، والبَحْثُ أن تَسْأَل عن شيء وتَسْتَخبر، وبَحَثَ عن الخَبر وبَحَثَه يَبْحَثه بَحْثاً سأل، وكذلك استَبْحَثَه واستَبْحَثَ عنه، ووارد أن كثيراً ما يستعمله المُصَنِّفُون مُتَعَدِّياً بفي فيقولون: بَحَثَ فيه والمشهورُ التَّعْدِيَةُ بِعَنْ" (١).

وقد عرف الجرجاني البحث اصطلاحا فقال: (هو إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين الشيئين بطريق الاستدلال) (٢). وقد يراد بالبحث الاستشكال والإنكار، ولذا يقولون أحياناً: هذه المسألة فيها بحث أو محل بحث: أي أنها مشكلة، أو غير مسلمة.

وذكر الراغب أن المباحثة والمناظرة بمعنى واحد فقال: المناظرة: المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته، والنظر: البحث، وهو أعم من القياس، لأن كل قياس نظر وليس كل نظر قياس" (٣)

في حين يقرن ابن سعدي بين ١١٧١ المناظرة والمباحثة(٤) وأصل كلمة المباحثة " بحث " ترد بمعنى فتش عن الشيء أو طلبه، وتستخدم في مجال العلاقات الدولية (مثل المباحثات السياسية) لتعطي معنى قريباً من المفاوضة أو من المناقشة التي لا تهدف إلى التوصل إلى اتفاقيات ولكن إلى تبادل وجهات النظر والتصورات" ويؤكد الألمعي هذا التوجه فيقول: " قد شاعت بين الناس ألفاظ إن لم تكن واحدة في المفهوم فهي قريبة بعضها من بعض كالمناظرة والمحاورة والمناقشة والمباحثة" (٥). ويقول أيضاً " إن المحاورة هي المراجعة في الكلام ومنه التحاور أي التجاوب... وقريب من ذلك المناقشة والمباحثة " (٦). ويستخدم العميرين الحوار والمناقشة والجدل كمصطلحات مترادفة (٧). ويبدو أن المناقشة تركز أكثر على النظر في الموضوع المحدد من زواياه المختلفة، بخلاف المحاورة التى تركز أكثر على

١) لسان العرب مادة بحث.

٢) التعريفات للجرجاني / ٦١

٣) المفردات / مادة بحث /

(٤)المناظرات الفقهية، عبد الرحمن بن ناصر السعدى، /٧ : دار الآثار القاهرة ١٤٢٣هـ.

(٥)مناهج الجدال في القرآن الكريم الألمعي، /٢٥

(٦)مناهج الجدال في القرآن الكريم/ الألمعي، /٢٥.

(٧)كتاب الجدل: صناعة الجدل على طريقة الفقهاء لأبي الوفاء علي بن محمد بن عقيل البغدادي تحقيق علي عبد العزيز بن علي العميرين، ١٦ الرياض: مكتبة التوبة ١٤١٨هـ

عملية المراجعة بين طرفين أو أكثر .

ومثال ذلك : ناقش المسألة أو القضية الرياضية أي بحثها بدقة[1] .

وأما اللجاج: فهو ما كان على الباطل، أو ما فعله الفاعل نصراً لما نشب فيه، وقد لاح له فساده، أو لم يلح له صوابه ولا فساده" [2]

أما المراء: فهو" طعن فى كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير" وقال ابن الأثير: المماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة" [3]

ثالثاً: القرآن الكريم وتقرير فن المناظرة:

إن مما لا شك فيه أن من أعظم النعم التى منَّ الله- عز وجل- بها على هذه الأمة أن تكفل بحفظ كتابها القرآن الكريم، وقد ضمن الله تعالى حفظ هذا الدين بحفظ كتابه مصداقاً لقوله تعالى ﴿ نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ {٩}﴾{ الحجر:٩} فما كان بعد ذلك من اختلاف بين طوائف الأمة، أو بينهم وبين غيرهم فإنا لا نضيق به ذرعاً، ما دام الدستور الإلهي محفوظاً بحفظ الله.

ولقد اتسع القرآن الكريم لنوع من الاختلاف وذلك من باب الرحمة بالأمة وعدم الحرج، ذلك هو الاختلاف فى وجهات النظر فى الأمور الاجتهادية التى تحتملها النصوص القرآنية، التى جاءت عامة مرنة كضرب من ضروب إعجاز القرآن الكريم، ليساير اختلاف الأزمنة والأمكنة، والبيئات والأجيال المختلفة، وهذا النوع أشبه باختلاف الفقهاء فى المسائل الفقهية الفرعية، التى لم يورث الاختلاف فيها تفريقاً فى الدين، ولم يتعارض مع أصل من أصوله الصريحة.

ولمّا كان للمناظرة أسلوب وموضوعات مخصوصة تحتاج إلى منهج معين يُؤَدَّى به، وسنة يقام على هديها، وكان الخلق فى مُفترقِ طرق خطير تستهويهم الأهواء، وتتنازعهم الشهوات والنزوات، وتجرى منهم الشياطين مجرى الدم، كفى الله الناس هذا الهم، وهداهم فى هذه الحيرة إلى الصراط المستقيم، فأرسل لذلك رسلا مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليقوم الناس بالقسط لله رب العالمين، وكان مسك الختام لهذه الكتب القرآن الكريم؛ كتاب هدايةٍ، ودستور حياة، من اعتصم به

(١)المعجم الوسيط / إبراهيم ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحي ، محمد خلف الله أحمد ، ط٢ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٣٩٢ هـ).

٢) مدارة النفوس : ابن حزم / ٤٩

٣) النهاية فى غريب الحديث/ ٤/ ٣٢٢

عصم، ومن استمسك به فقد هدى إلى صراط مستقيم، وهو نور الله المبين، وإن من أقوم هذه المبادئ التى ركزا عليها القرآن الكريم أسلوب المناظرة، ومنهجها، وخصائصها، التى كان لها أكبر الفضل فى تاريخ المسلمين فى نشر الإسلام بالحجة والبرهان و"مناقشة الآراء على بساط الحرية والصراحة اللتين هما أقوم سبيل لحل المعضلات وتوضيح المبهمات وعرض المعتقدات وبلورة الآراء وتوحيدها وتقويتها"[1] وحسن معاملتهم لمن يخالفهم فى الدين روائع تشهد بما فى تعاليم الإسلام من سمو وسماحة فى البحث والمناظرة، تتسم بالرقى الحضاري، والاقتناع العقلي:

ومن ثم فإن المتأمل فى آي القرآن الكريم يلحظ أن المناظرة والمحاورة تشكلان منبعاً أساسياً لطبيعته، ومنطلقاً داعماً لحركة الفعل الاجتهادي الذى يمارسه العلماء والمفكرون بهدف الوصول إلى الحقيقة، فما" من برهان وتقسيم وتحديد ينبئ عن كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا والقرآن قد نطق به، ولكن أورده الله تعالى على عادة العرب"[2] ولذلك يقول بعض العلماء، "إن القرآن كله مناظرات غرضها إقامة الحجة على المخالف وإظهار الحق و هداية البشر،و حصول النفع الظاهر فى إظهار الإسلام على سائر الملل والنحل من خلال تلك المناظرات، فجواز مناظرة أهل الكتاب بماهو عندهم واجب شرعى، غايته اقامة الحجة عليهم للإيمان به"[3] .

وقد اشتمل القرآن الكريم على احتجاجات كثيرة من جدال أهل الباطل بأحسن بيان، وأوضح برهان، وأقوى حجة، وأوضح دليل، ضارباً الأمثال التى توضح الفكرة، ذاكراً الأدلة المنطقية والعقلية التي تدعم الفكرة، مبيناً معارضته لشبه أهل الباطل وذكرها ونقضها بأدلة دامغة،" فالقرآن مملوء من حكاية المناظرات والمحاورات، وهذا كله تعليم من الله عز وجل المجادلة فى الدين"[4]

وهذا ما يدل على مشروعية المناظرة، ولذلك نجد قواعد فن المناظرة وضوابطه وآدابه مؤصلة فى آيات الذكر الحكيم على وجه التفصيل، وهذا بمنزلة إرشاد وتوجيه إلى التزام هذا المنهج وإعماله حال المناظرة، "ولذلك فإن

١) طبيعة الحوار فى القرآن الكريم /١٥٩

٢) مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني /٧٥

٣) انظر هل منهج المناظرة له أصل فى الكتاب والسنة/ للشيخ/ أحمد ديدات

٤) أحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٢٨٦

القرآن الكريم مملوء من الحجج والأدلة والبراهين فى مسائل التوحيد وإثبات الصانع والمعاد وإرسال الرسل وحدوث العالم، وفيه جميع أنواع الأدلة والأقيسة الصحيحة" [1] وإذا تأملت القرآن الكريم وتدبرته وأعرته فكراً وافياً اطلعت فيه من أسرار المناظرات، وتقرير الحجج وإبطال الشبه الفاسدة، وذكر النقض والفرق والمعارضة والمنع على ما يشفى لمن بصره الله وانعم بفهم كتابه"[2]

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بمشاوره المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وشاورهم فى الأمر﴾{الشورى :٣٨} وفى هذا حضّهم على المناظرة والمشاورة لاستخراج الصواب فى

الدنيا والآخرة، حيث يقول: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ { الشورى/١٦}.

فالمشاورة نوع من المناظرة، لأن كل واحد منهما يُشاور أخاه لاستخراج الحق، ويحصل بسبب ذلك من إيراد أدلة الأقوال ورد ما يعارضها، وكل ذلك نظر ومناظرة، وفى الحقيقة المشاورة أكمل أنواع المناظرة، لأنها خالية من أسباب فساد ذات البين والمراء والغضب والغلبة، فالمشاورة شاهدة على حسن النية ابتداءً فى طلب الحق، والإعراض عما يُهيج الشر من الرياء والجدل المذموم"[3]

آدب البحث والمناظرة والاستدلال فى القرآن الكريم:

لقد نزل القرآن الكريم بـ لسان عربي مبين، والمناظرة- كما سبق - فيها معنى الغلبة والإفحام بطريقة الحجة والبرهان بغية الوصول إلى تبيان الحق وإزهاق الباطل، والاستدلال فى القرآن يراد منه اظهار الحق ودفع الباطل.وهذا يأتي عن طريق فن المناظرة لما فيها من معنى دفع الخصم بالحجة والدليل. وسُمّي الاستدلال القرآني بالجدل والمناظرة لما فيها من إقامة الحجة على المخالف وإظهار الحق.وإنما يتحقق ذلك إذا قسمنا الأدلة القرآنية إلى قسمين كما ذكر الشاطبي فقال: "إن لأدلة الشرعية ضربان :-

أحدهما أن يكون على طريقة البرهان العقلي: فيستدل به على المطلوب الذى جعل دليلا عليه وكأنه تعليم للأمة كيف يستدلون على المخالفين، وهو فى أول الأمر موضوع لذلك ويدخل هنا جميع البراهين العقلية وما جرى مجراها كقوله:﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾{النمل/١٠٣} وقوله تعالى:﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾{فصلت/٤٤}وهذا الضرب يستدل به على الموافق والمخالف، لأنه أمر معلوم عند من له عقل فلا يقتصر به على الموافق فى النحلة.

والثاني مبني على الموافقة في النحلة: وذلك مثل الأدلة الدالة على الأحكام التكليفية كدلالة الأوامر والنواهي على الطلب من المكلف ودلالة﴿كتب عليكم القصاص في القتلى﴾{البقرة/١٧٨}و﴿كتب عليكم الصيام﴾{البقرة/١٨٣} فإن هذه النصوص وأمثالها لم توضع وضع البراهين ولا أتى بها فى محل استدلال بل جيء بها قضايا يعمل بمقتضاها مسلمة متلقاة بالقبول، وإنما برهانها فى الحقيقة المعجزة الدالة على صدق الرسول الآتي بها فإذا ثبت برهان المعجزة ثبت الصدق، وإذا ثبت الصدق ثبت التكليف على المكلف

فالعالم إذا استدل بالضرب الأول أخذ الدليل انشائيا كأنه هو واضعه وإذا استدل بالضرب الثاني أخذه معنى مسلما

لفهم مقتضاه إلزاما وإلتزاما، فإذا أطلق لفظ الدليل على الضر بين فهو إطلاق بنوع من اشتراك اللفظ، لأن الدليل بالمعنى الأول خلافه بالمعنى الثانى فهو بالمعنى الأول جار على الاصطلاح المشهور عند العلماء، وبالمعنى الثاني نتيجة انتجتها المعجزة فصارت قولا مقبولا)[1]

والضرب الأول من هذين الضربين هو الذى يشتمل على المناظرة الالزم والإفحام والنقض والمعارضة والمنع ...فيحاجّ العقل بأروع حجة وأحكم برهان.وفى ذلك يقول الزركشي: "اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق.

طرق أحكام المتكلمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾{إبراهيم/٤}.

والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم

---

[1]) مفتاح دار السعادة . ابن القيم ١/ ١٤٥،١٤٦

[2]) بدائع الفوائد : لأبن القيم ٤/ ١٤٦

[3]) تنبه الرجل العاقل على تمويه الجدل بالباطل بواسطة العقود الدرية/٢٤

[1]) الموافقات في أصول الفقه : إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي ٣/ ٥٢- /٥٣ تحقيق : عبد الله دراز: دار المعرفة – بيروت

بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتخط إلى الأغمض الذى لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن ملغزاً، فأخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه من أجل صورة تشتمل على أدق دقيق، لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء ...وكل منْ كان حظه فى العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر، ولذلك إذا ذكر تعالى حجة على ربوبيته ووحدانيته أتبعها مرة بإضافته إلى أولي العقل، ومرة إلى السامعين، ومرة إلى المفكرين، ومرة إلى المتذكرين، تنبيهاً أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها، وذلك نحو قوله تعالى:﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾{الرعد:٤} وغيرها من الآيات.وقد يظهر منه بدقيق الفكر استنباط البراهين العقلية على طرق المتكلمين"[1]...

ومن هنا فإن القرآن الكريم فى تقريره لأسلوب المناظرة قد سلك طرائق متعددة تخاطب الجوانب المختلفة فى النفس الإنسانية، عقله وضميره ووجدانه وحواسه. لذلك فقد تعددت ووسائل المناظرة فى الاستدلال القرآني فى الرد على الخصوم منها ما يأتى :

[1]) انظر البرهان: للزركشي / ٢٤-٢٥ بتصرف

١- فقد ورد فى مواضع متعددة فى القرآن الكريم قياس الأولى وله تطبيقات كثيرة في آيات الذكر الحكيم ﴿ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾ { النحل: ٦٠}وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ وقوله تعالى :﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ {يس / ٨١}. ففي هاتين الآيتين الكريمتين إثبات حكم الشيء بناء على ثبوته لنظيره بشكل آكد وأقوى لأن من خلق الشيء يكون قادراً على خلق مثله أو أقل منه"[2] ومثل قوله عز وجل ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾{غافر آية ٥٧}ومن أمثلة ذلك أيضاً ماجاء فى الرد على النصارى قوله تعالى:﴿ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.{ آل عمران / ٥٩} فإذا كان الخلق من غير أب مسوغاً لاتخاذ عيسى إلهاً فأولى بآدم المخلوق من غير أب ولا أم أن يكون هو الآخر إلهاً ، لكن

[2]) انظر: منهج القرآن في تأسيس اليقين .د. محمد السيد الجليند / ٧٩

لما لم يكن آدم إلهاً باعترافكم فمن باب أولى أن لا يكون عيسى إلهاً"[1].

٢- وجاء فى القرآن الكريم ما أطلق عليه العلماء قياس الخُلْف "وهو القياس الذى يتمُّ فيه إثبات المطلوب بواسطة إبطال نقيضه"[2]وذلك لأنّ النقيضين لا يجتمعان، ولا يخلو المحل من أحدهما كالمقابلة بين العدم والوجود، ودليل الخلف أن يبطل النقيض فيثبت الحق، ومثال ذلك نجد القرآن الكريم يتجه في استدلاله إلى ابطال ما عليه المشركون فيبطل عبادة الأوثان ويثبت التوحيد، وذلك فى قوله عز وجل:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾{الأنبياء / ٢٢ }.ففي هذه الآية تعدد الآلهة باطل لأنه يورث الفساد فثبت أن الله عز وجل واحد، لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام،ولا يتسق على إحكام، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما، وذلك لو أراد أحدهما إحياء جسم، وأراد الآخر إماتته، فإما أن تنفذ إرادتهما فتتناقض

[1]) انظر : مناهج الجدل في القرآن الكريم . د/ زاهر الألمعي / ٧٧ .

[2]) انظر أساسيات المنطق/ الشيخ محمد صنقور على ،٣٨٦ ط أولى ٢٠٠٦م طبهمن آرا.

لاستحالة تجزؤ الفعل إن فرض الاتفاق، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف، وإما لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما ، أولا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه ، والإله لا يكون عاجزا"[3] .ويسمى هذا الدليل برهان التمانع بمعنى أنه إذا امتنعت الوثنية لامتناع الفساد، فكانت الوحدانية، ومن أمثلته أيضاً فى القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾{النساء / ٨٢}".وفى هذه الآية الثانية الاختلاف والتناقض باطل لا وجود له فى القرآن الكريم فثبت نقيضه وهو أنه محكم معجز فهو لذلك كلام الله عز وجل"[4]

٣- ووجد العلماء فى القرآن الكريم من طرق الاستدلال ما أطلقوا عليه قياس الغائب على الشاهد. الذى يسمى أيضاً قياس التمثيل[5]: وهو إلحاق أحد الشيئين بالآخر ، وذلك بأن يقيس

[3]) انظر البرهان / -٢٥ بتصرف

[4]) انظر : مناهج الجدل فى القرآن الكريم/د. زاهر عوض للألمعي / ٧١. ط الثانية / ١٤٠٠هـ

[5]) انظر : معيار العلم للغزالي ص ١٥٤ ومناهج الجدل للألمعي / ٧٨.

المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه ، أو على أمر بدهي لا تنكره العقول. وقد استعمل القرآن الكريم في استدلاله هذا المسلك على أدق وجه وأحكمه مقرِّباً بين الحقائق القرآنية والبداهة العقلية، وكثير من استدلالات البعث تقوم على تقرير البعث وقدرة الله عليه، وذلك بما يراه المنكرون من إنشاء الله لهذا الكون البعيد، وخلق الإنسان وبيان أطواره من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات إلى أن يكون خلقًا سويًا، ومن ذلك الاستدلال على إثبات قدرة الله عز وجل بأمور مشاهدة للإنسان أو معلومة له بشكل قطعي بدهي لا تنكره العقول ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ! قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ !الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ !أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ !إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ { يس الآيات ٧٨ – ٨٣} فالذي يخلق من العدم من باب أولى قادر على الإعادة والذي يخلق الشيء من ضده كالنار من الشجر الأخضر ، قادر على خلقه من عناصره "(١) وهذه الآيات التي ذكرناها جاءت مثالاً لقياس الأولى أيضا.

فالقرآن الكريم يقيس الغائب وهو الإعادة بعد الموت على أمور معلومة قطعاً للإنسان وهو أنه وجد من لا شيء بعد أن لم يكن أو على شيء مشاهد محسوس يراه الإنسان بعينه وهو استخراج النار من الشجر الأخضر الرطب أي استخراج الشيء من ضده"(٢) ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ {فصلت/٣٩}.فقياس الغائب هنا وهو إحياء الموتى على أمر مشاهد محسوس لا يشك فيه عاقل وهو حياة الأرض بعد جفافها ويبسها.

٤– وورد في القرآن الكريم التسليم الجدلي للخصوم ثم كر على مقالاتهم بالنقض والإبطال ومن أمثلة ذلك قوله عز وجل:﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ {المؤمنون / ٩١}.والمعنى ليس مع الله عز وجل إله ، ولو سلم ذلك لكم لزم من ذلك ذهاب كل إله بما خلق وعلوُّ أحدهما على الآخر، فلا يتم في العالم أمر ، ولا ينتظم فيه حكم والواقع خلاف ذلك، لأن نظام العالم قائم على أحسن حال ،والتناسق الموجود في الكون غاية في الجمال ، فبطل إذن وجود آلهة غير الله عز وجل لأنه يلزم من ذلك اختلال النظام في العالم ، وهذا النوع لا يختلف عن قياس الخلف إلا من جهة التسليم الجدلي المذكور افتراضاً وليس حقيقة وواقعاً"(١) ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى يحكي عن الأنبياء وأقوامهم﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ !قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ {إبراهيم / ١٠-١١ }

فهنا تسليم جدلي من الأنبياء عليهم السلام للمنكرين لنبوتهم لأنهم بشر بأنهم بشر حقاً ولكن ليست البشرية مانعاً من النبوة "(٢)

٥– وجاء في القرآن الكريم ما أطلق عليه العلماء فيما بعد: السبر والتقسيم: وهو باب من أبواب الجدل يتخذه المجادل سبيلاً لإبطال دعوى من يجادله، ويكون ذلك بحصر الأوصاف للموضوع الذي يجادل، ثم يبيّن أنه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصية تسوغ قبول الدعوى فيه، فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {١٤٣} وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

---

١) انظر : مناهج الجدل في القرآن الكريم. د/ زاهر الألمعي /٨١

٢) انظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي مجلد ٢ ج/ ٤ /٥٣ ، ٥٤ط المشهد الحسيني بالقاهرة.ومناهج الجدل للألمعي / ٧١

١) انظر : الإتقان للسيوطي ص ٥٦ / مجلد ٢ جزء ٣ ومناهج الجدل للألمعي ص ٦٨.

٢)،انظر : الإتقان للسيوطي / ج ٣/ م٢ / ٥٧

١١٨٠{١٤٤} ﴾{الأنعام : ١٤٣/ ١٤٤}، ذكر السيوطي في الاتقان: " أن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام ، تارة وإناثها تارة أخرى ، رد الله عليهم ذلك بطريق السبر والتقسيم،فقال: إن الخلق لله خلق من كل زوج مما ذكر، ذكرا وأنثى. فمم جاء تحريم ما ذكرتم. أي ما علته. لا يخلو، إما أن يكون من جهة الذكورة، أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يدرى له علة وهو التعبدي بأن أخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى إما بوحي وإرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقى ذلك عنه، وهو معنى قوله: ﴿ أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا﴾{الأنعام/١٤٤} فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها:

والأول: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراما.

والثاني: يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراما.

والثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معا، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة، وبعض في حالة، لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه ،وبواسطة رسول كذلك لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي .وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال ".[1]

٦- وللاستفهام التقريري شواهد كثيرة فى القرآن الكريم:وهو الاستفهام عن المقدمات البينية البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها ، وهي تدل على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق، ولاعترافه بإنكار الباطل ، والقرآن لا يستدل في مجادلاته بمقدمات لمجرد تسليم الخصم بها كما هو الشأن بالنسبة للطريقة الجدلية المعروفة عند أهل المنطق ، بل يستدل بالقضايا والمقدمات لتكون أدعى للانقياد للحق ومجانبة الباطل.ومن أمثلة الاستفهام التقريري:قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ {٨١}﴾{ يس/ ٨١}وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ {٨} وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ {٩} وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ {١٠}﴾ {البلد: ٨ -١٠}[2].

٧- ووجد العلماء فى القرآن الكريم،الأقيسة الإضمارية:وهي التى

١) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي /: ٣٥٩/٢، مناهج الجدل/٦٨

٢) انظر مناهج الجدل للألمعي/٦٩

تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود ما ينبيء عن المحذوف، والذي يستقرىء أدلة القرآن الكريم يرى أن أكثرها قد حذفت من إحدى المقدمات : وفى ذلك يقول صاحب شرح الطحاوية:"ان الطريقة الفصيحة فى البيان أن تحذف إحدى المقدمات وهى طريقة القرآن "[1] يقول الغزالي رحمه الله:" إن القرآن مبناه الحذف والإيجاز في الأقيسة : واستدل بالآية الكريمة التى ترد على النصارى الذين يزعمون أن عيسى ابن الله لأنه خلق من غير أب قال تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ {٥٩} الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ {٦٠}﴾{ آل عمران: ٥٩ /٦٠}.وفى هذا المثال حذف إحدى المقدمات فى المقايسة بين خلق آدم وعيسى، عليهما السلام، هو أنه إذا كان الخلق من غير أب مسوغا لاتخاذ عيسى إلها، فأولى أن يكون الخلق من غير أب ولا أم مسوغا لاتخاذ آدم إلها ولا أحد يقول بذلك

وفى ذلك يقول الشيخ أبو زهرة: "واننا لنجد أنه قد حذفت مقدمة أخرى، وكأنه سياق الدليل فى غير كلام الله تعالى يكون:ان آدم خلق من غير أب ١١٨١ وأم وعيسى خلق من خير أب فلو كان عيسى إلهاً بسبب ذلك لكان آدم أولى، ولكان آدم ليس ابناً ولا إلهاً باعترافكم فعيسى أيضاً ليس ابناً ولا إلهاً.وان الحذف قد صيّر فى الكلام طلاوة وكسبه رونقاً وجعل الجملة مثلاً مأثوراً يعطي الكلام حجة في الرد على النصارى ويذكر الجميع بأن آدم والناس جميعاً ينتهون إليه وإنما خلق من تراب، فلا عزة إلا الله تعالى" [2].

٨- وورد فى القرآن الكريم أيضاً مطالبة الخصم بتصحيح دعواه وإثبات كذبه في مُدَّعاه:وذلك كدعوى اليهود الذين قالوا بأن النار لن تمسهم إلاّ أياما معدودة بقدر الأيام التي عبد فيها العجل، كما ذكرها بعض المفسرين: قال تعالى على لسانهم:﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {٨٠}﴾{البقرة : ٨٠}.وبما أنه لم يثبت عندهم من الله عهد ، فقد انتفى هذا الافتراض، وثبت

١) شرح العقيدة الطحاوية / ٢٣

٢) المعجزة الكبرى في القرآن – محمد أبو زهرة ص ٣٩٨ بتصرف . انظر مناهج الجدل للألمعي/٧٠

الافتراض الثاني وهو أن دعواهم خالية من الدليل فبطلت لخلوها من العلم والبرهان .

٩- وللأسجال شواهد فى القرآن الكريم: وهو الإتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به، بمعنى أن تثبت على لسان خصمك ألفاظًا في سياق آخر تسجل به عليه ما كان عنده محمل شبهة وإنكار نحو قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {٤٤}﴾ { الأعراف / ٤٤}.و نحو قوله تعالى:﴿ربنا و آتنا ما وعدتنا على رسلك﴾{ آل عمران ١٩٤}﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم﴾{غافر/ ٨}فإن في ذلك إسجالا بالإيتاء و الإدخال، حيث وصفا بالوعد من الله الذي لا يخلف وعده." [1]

١٠- ومن طرق الاستدلال فى آيات الذكر الحكيم، المناقضة: وهي تعليق أمر على مستحيل إشارة للدلالة على استحالة وقوعه، كقوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ {٤٠}﴾{الأعراف/ ٤٠}[2].

١١- وورد فى القرآن الكريم:إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها:كقوله تعالى﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ {٩١}﴾{الأنعام/ ٩١}ردا على اليهود فيما حكاه الله عنهم بقوله﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾{الأنعام /٩١}،فقد ادّعوا سلبًا كليًا فكذّبهم الله بما يعترفون به وهو الإيجاب الجزئي المناقض للسلب الكلي، فإن اليهود يعترفون بالتوراة التي بين أيديهم ، ويفتخرون بها على العرب؛ بأنهم أصحاب كتاب، ومع ذلك يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء، وهذا

[1] الإتقان/ للسيوطي: ٢/ ٣٦٠،والكشاف/١/ ١٣٨٣

[2] انظر مناهج الجدل للألمعي/٧٧

التناقض في الحقيقة والواقع كما هو ف قرارة أنفسهم وهو مسلك من مسالك الإفحام والإلزام.[1]

١١- أيضاً الاستدلال بالتحدي على صدق الدعوى: فقد تكون الدعوى صحيحة ظاهرة تلمسها الحواس وتستيقنها النفوس ومع ذلك نجد عند بعض الخصوم لددًا في الخصومة، ومكابرة للحق وللواقع، فينهج سبيل المعارضة لكل ما خالف معتقده وهواه، دون تدبر للحقائق وللواقع، ومن هذا المسلك معارضة المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم، وتشكيكهم ف نسبته إلى الله، ولقد كان موقف القرآن في رده على هؤلاء المشركين مرتكزًا على حقيقتين .

الأولى: نقض جميع المعارضات التى أوردها المشركون، وكشف ما تنطوي عليه من شبه وملابسات، كما جاء في قوله تعالى:﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذي يُلحدون إليه أعجميٌّ ، وهذا لسان عربيٌّ مبين﴾ {النحل / ١٠٣} .

[1] انظر الإتقان للسيوطي ١/ ٥ ، ٢/ ١٨٥، وأعلام الموقعين ٤٩/١ ومختصر الصواعق المرسلة: ٧٣ . ومناهج الجدل/٧٨

الثانية:الاستدلال

بالتحدي على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يبلغ من رسالة الله، كما في قوله تعالى:﴿ أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾{ هود / ١٣}.وقال تعالى:﴿ وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله﴾{ البقرة / ٢٣}. وقال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً {٨٨}﴾ { الإسراء/ ٨٨}

هذه بعض طرق الاستدلال القرآنية التى يتبين منها أن القرآن الكريم قد اشتمل على جميع أنواع الأدلة والأقيسة الصحيحة فى الاستدلال،ولقى كان لها أكبر الأثر فى مناهج المتكلمين الذين استخدموها بشكل كبير إلا أن أسلوب القرآن الكريم يعلو على أساليب البشر علواً كبيراً، ذلك أن القرآن الكريم لا يفصل دائماً بين الدليل العقلي ، والوازع القلبي والعاطفي ، ويقرن دائماً الترغيب والترهيب بأدلة العقول والنظر ، لأن اليقين العقلي لا يكفي وحده لدفع الناس إلى الالتزام ، إذ لا بد من أن يقترن هذا اليقين بدافع من الحب أو الخوف أو

الرغبة أو الرهبة ، فلنتأمل في بعض هذه الآيات يقول عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ! إلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا! مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾{النساء/ ١٤٥:١٤٧}.فهو بعد أن توعد المنافقين استثنى منهم التائبين والمخلصين ثم بين أنه عز وجل غني عن عذاب العالمين:﴿ ما يفعل الله بعذابكم﴾. أي أنه عز وجل لا شأن له بعذابكم لأنه منزه عن دفع المضار وجلب المنافع وإنما قصده حمل المكلفين على فعل الحسن، واجتناب القبيح [1].

أهمية المناظرة وفوائدها:

لا ريب أن المسلمين فى عالمنا المعاصر أحوج ما يكونون إلى معرفة أدب البحث والمناظرة؛ لما له من أثر بالغ فى القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وفى توحيد الأمة، ولم الشمل، ورأب الصدع، وتوثيق مشاعر القربى بين المسلمين، وتوحيد صفوفهم والتقارب والتواصل، وتصحيح صورة الإسلام فى أذهان المخالفين له فى ظل التطورات والأحداث الأخيرة، وما حدث من تشويهه لصورة الإسلام وسماحته ومنهجه القويم، والبحث عن حلول للخروج من الهوة العميقة التى تردت فيها الحضارة الإسلامية، فضلا عن تحقق النهوض بالأمة الإسلامية، وتحقيق الرقي الحضاري، والتقدم العلمي، وذلك من خلال تنمية للجانب الفكري للعقل الإنساني. ذلك أن المناظرة محاولة دقيقة متفحصة هدفها الوصول إلى حلول لقضايا خلافية عامة أو خاصة، وتنشأ المناظرة نتيجة لحب الحقيقة، وهى مطلب شرعي تلزم معرفتها، وإلى ضرورة تأصيله من الناحية الشرعية، والمسلمون حين يمارسونه هم بأمسّ الحاجة إلى معرفة مسوغاته الشرعية وآدابه ومحظوراته للوصول إلى الكمال الإنساني، وسلامة الإنسان وتوفير جهده وطاقته، أو تخفيف حدة الصراع مع الآخر. ذلك أن طبائع الناس متفاوتة، وأهواءهم متضاربة، ومشاربهم متباينة، ومسالكهم فى طلب الحق مختلفة ومتعددة. والإفراط فى الخلاف من أهم الأسباب فى ضعف الأمة، وتبديد طاقتها،

[1] انظر التفسير الكبير/ للرازي مجلد ٦ جزء ٩٠/١١. ومناهج الجدل/٨١

وتضييع وقتها، وتبديد جهدها، وتفريق جمعها.

وإن الإسلام عندما فتح باب المناظرة والمحاورة بين أتباعه ومعتنقيه، وبين أتباع العقائد الأخرى، اشترط أن يكون ذلك على أساس من المنطق والرزانة، والهدوء والحكمة، دون تشنج أو تعصب، أو طعن وتقريع، فقال تعالى﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن﴾{النمل/١٢٥}.

وهذا ما تقتضيه طبيعة رسالة الإسلام باعتبارها رسالة عامة وخالدة، فقد بعث بها النبي محمداً ﷺ ليكون رسولا إلى الناس أجمعين، بشيراً ونذيراً للعالمين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها... لما كان الأمر كذلك شرع الإسلام من الوسائل والأساليب ما يتناسب مع حال المدعوين على اختلافهم فكراً، وديناً، وزماناً، ومكاناً،ة وطبيعة. لذلك فقد تنوعت المناظرات بين الأنبياء والمرسلين مع وأقوامهم، وقد أجمل القرآن الكريم تلك الوسائل فى قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾{ النحل:١٢٥} وفى هذه الآية الكريمة يبيّن الباري عز وجل ضوابط المناظرة المشروعة وحدد معالمها، ووضعها في إطارها الصحيح. فيجمل تلك الوسائل تبعاً لتنوع أصناف الناس كما يقول الإمام الرازي فى تفسيره لهذه الآية، إذ صنف طوائف الناس ثلاثة أصناف فقال:

"**الصنف الأول**: الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية، والمكالمة مع هؤلاء تكون بالحكمة.

الصنف الثاني: الذين بقوا على الفطرة الأصلية والسلامة الخلقية وما بلغوا إلى درجة الاستعداد لفهم الدلالات اليقينية والمعارف الحكيمة، والمكالمة مع هؤلاء تكون بالموعظة الحسنة.

الصنف الثالث: الذين تغلب على طبائعهم المشاغبة والمخاصمة، والمكالمة اللائقة بهؤلاء تكون المجادلة التى تفيد الإفحام والإلزام على الطريق الأحسن الأكمل.." [1]

وهذا التفاوت فى طرق دعوة –الأنبياء عليهم السلام– يرجع إلى تفاوت مراتب الناس: فمنهم خواص، أصحاب نفوس مشرقة، قوية الاستعداد لإدراك المعاني، قوية الانجذاب إلى المبادئ العالية، مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه، وهؤلاء يدعون بالحكمة.

[1] انظر التفسير الكبير – للفخر الرازي م ١٠– ج٢٠– ص ١٤١.

ومنهم نفوس كدرة ضعيفة الاستعداد، شديدة الإلف بالمحسوسات، قوية التعلق بالرسوم والعادات، قاصرة عن درجة البرهان، لكن لا عناد عندهم،وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة.

ومنهم من يعاند ويجادل بالباطل ليدحض به الحق لما غلب عليها من تقليد الأسلاف، ورسخ فيه من العقائد الباطلة، وهؤلاء الذين أمر ﷺ وسلك بجدالهم بالتى هى أحسن "١"

وبناء على ما مر يتبين لنا مدى أهمية علم المناظرة فى الإسلام، وأنه يقوم على منهج عام كما قرره القرآن الكريم، وركز عليه، وجعله أساساً لإجراء أي مناظرة تكون، سواء أكانت بالحكمة أم الموعظة الحسنة، أم كان دأب صاحبها المجادلة والمخاصمة والعناد، فإنه يستخدم فى مخاطبته الجدل بالتي هي أحسن.

كما يتبين لنا قيمة إجراء المناظرة وأهميتها عندما تكون مع المخالفين، من غير المسلمين، فى مناقشة معتقداتهم

---

[١] انظر روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- شهاب الدين الألوسي- ج١٤/ ص ٢٥٤ ط مكتبة دار التراث – المركز الإسلامي للطباعة والنشر.

ومذاهبهم وآرائهم، وبيان زيفها بالحجة والبرهان على أساس ما قرره القرآن الكريم، أن تكون بالتى هى أحسن. ذلك أن " تغير المعتقدات ليس أمراً سهلاً، ولذلك أعطى الله رسله البيان وأرسلهم بلغة أقوامهم، ومنحهم القدرة على المخاصمة لكي يردوا جدل المعارض، ويقنعوا السائل، ويأخذوا بيد الجميع عن طريق المناقشة الحرة العاقلة[٢] سواء أكان بين مسلمين، أم بين مسلم وكتابي أم بين شخصين بغض النظر عن دينهما.

ومن هذا نستطيع أن نتبين أهمية علم المناظرة والجدال فى أمرين هما:

١- استعمل القرآن الكريم المناظرة مع أصحاب العقائد الفاسدة من المشركين عبدة الأصنام، والصابئة عبدة الكواكب، والمجوس الذين كانوا يقولون بإلهين، أحدهما: للنور والآخر: للظلمة، وأصحاب الكتب السماوية، الذين انحرفوا عن الدين الحق، والعقيدة الصحيحة. كما يشير إلى ذلك الشيخ مصطفى عبد الرازق بقوله:" كان القرآن يجادل مخالفيه من أرباب الأديان والملل فى

---

[٢] الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها- د. أحمد غلوش- ٣٨٢

العرب، رداً للشبهات التى كانوا يثيرونها حول عقائد الدين الجديد، على أنه كان لا يمد فى حبل الجدل حرصاً على الألفة"[١]

٢- استعمل النبي ﷺ المناظرة فى مناقشة المعاندين، وبيان زيف الباطل، ورد كيد المشككين، من اليهود والنصارى والمشركين، فكان ﷺ يعلن لهم الحق إن كانوا له طالبين، ويرد كيدهم فى نحورهم إن كانوا معاندين متكبرين.

ومن هنا قص الله علينا قصص الرسل والأنبياء – عليهم السلام – مع أقوامهم، وبين أن مناظراتهم كانت تطبيقاً عملياً ومنهجاً يقتدي به فى فن المناظرة مع الآخر، فهذا نوح – عليه السلام – يدعو قومه ويناظرهم ويجادلهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ويبذل قصارى جهده ليوحدوا الله، وليزيل ما علق في أذهانهم من الشرك والانحراف، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا *وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا

---

[١] تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – للشيخ مصطفى عبد الرازق- ١١٥ ط لجنة التأليف والترجمة سنة ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م.

أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا *ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾{نوح ٥: ٩}

هذا... ولما كانت قضية البحث والمناظرة بهذه الخطورة ، اهتمَّ بها القرآن أيما اهتمام، فبيَّن طريق المناظرة الحق، ونَصَبَ عليها الدلالات ودعا إليها، وفنَّدَ طريق المناظرة التى يكون هدفها الانتصار على الخصم بالحق أو بالباطل وبغَّضَ فيها وقَبَّحها، وأبرز بُطلانها وحذَّر منها. وبين أن المناظرة سنة كونية وضرورة إنسانية لا يتم التواصل إلا بها وذلك انطلاقاً من طبيعة أن "الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية، وقضاء إلهي أزلي مرتبط بالابتلاء والتكليف الذي تقوم عليه خلافة الإنسان في الأرض " إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصورات والأفكار، وكل تلك الأمور تفضي إلى تعدد الآراء والأحكام، وتختلف باختلاف قائلها، وإذا كان اختلاف ألسنتنا وألواننا ومظاهر خلقتنا آية من آيات الله، فإن اختلاف مداركنا وعقولنا وما تثمره تلك المدارك والعقول آية من آيات الله كذلك، ودليل من دلائل قدرته البالغة، وإن إعمار الكون لا يتحقق لو أن البشر خلقوا

سواسية فى كل شيء وكل ميسر لما خلق له قال تعالى:﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ {118} إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود:١١٨][1] وقال تعالى﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨] ، ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾" [النحل:٩٢-٩٣] ؛ فالاختلاف بين البشر قضية واقعية ، وسيبقى الخلاف مادام هناك اختلاف فى العقول والتحصيل والفهم والاستنباط فضلا عن اختلاف البيئات والموروثات وغيرها، والوسيلة الأساسية والضرورية لتعامل الإنسان مع هذه القضية هي المناظرة التى يتم من خلالها عرض مبادئ الإسلام وأصوله ومحاسنه وتصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام فى عقول المخالفين له،ودعم مفهوم التعايش السلمي المشترك بين المسلمين وغيرهم، وتوظيف الاختلاف وترشيده بحيث يقود أطرافه إلى فريضة التعارف،وهو وسيلة للقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وهو أساس التواصل والتفاعل مع الغير وتحقيق الألفة والسعي الحثيث للوصول إلى الحقيقة بعيداً عن التعصب والتباعد والبغضاء، ذلك أن الغاية من المناظرة كما يقول الحافظ الذهبي : (إنما وضعت المناظرة لكشف الحقّ، وإفادة العالم الأذكى العلمَ لمن دونه ،وتنبيه الأغفل الأضعفَ"[2] كما أن المناظرة وسيلة للتمييز بين الحق والباطل، لذلك كان هذا العلم من أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأناً، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتميز الحق من المحال، ولولا صحيح الوضع فى الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم

[1] انظر أدب الاختلاف فى الإسلام / د. طه جابر فياض / ٤٣

[2] فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي ١/ ٢٠٩الناشر: المكتبة التجارية الكبرى . مصر الطبعة الأولى ، ١٣٥٦

الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"[1]

كما أن المناظرة وسيلة لمواجهة أزمات التراجع والتفكك والانهيار فى دوائر هذه الأمة، وهو "الوسيلة الوحيدة لاستحضار العقل الذى جرى ويجرى تغييبه عن مجال الفعل والإبداع والتنظيم الذى يتطلبه مشروع النهوض" [2] وفى ذلك يقول الراغب الأصفهاني:" فإن الجدال مع ما فيه قد يوقظ الفهم"[3]

ويقول المزني رحمه الله تعالى:" لا تعدوا المناظرة إحدى ثلاث: إما تثبيت لما فى يده، أو انتقال عن خطأ كان عليه، أو ارتياب فلا يقدم من الدين على شك"[4]

ومن هذا يتبين لنا مكانة المناظرة وأهميتها فى الإسلام وما لها من دور عظيم، يسهم في إعادة العلاقات الاجتماعية إلى سدة السلامة، وفى تأصيل المحبة داخل النفوس البشرية لخلق عالم إنساني يقوم على المحبة واحترام الآخر. ولا نبالغ إذا قلنا إن محبة الآخر والتواصل تخلق في النفس قوة سحرية تساعد على مواجهة تحديات الحياة وتحمل مشاقها واجتياز مصاعبها.من أجل تحقيق التعايش والصداقة والأخوة لذلك عني الإسلام بالدعوة إلى المناظرة البناءة لمعالجة كثير من مشكلاة الحياة، وامتاز فى علاجه لهذه المشكلاة بوضع الحلول العلمية لها، وسن النظم التى تكفل لهذه الحلول استقرارها ودوامها، محا الجهل بالدعوة إلى العلم وجعله فريضة على المسلمين واختص مشكلة الخلاف والاختلاف بالدعوة إلى المناظرة لأنها تؤدى إلى معرفة الحق.

ومن هنا هتم الإسلام اهتماما كبيراً بالمناظرة والمناقشة والاختلاف والجدل، ووضع أسس التخاطب والتشاور والتحاور، وتبادل أوجه الرأي وإنهاء المنازعات بين الأفراد والجماعات عن طريق التفاوض، فجاء في المناظرة بمنهج تحاور وتفاهم وسلام، وليس منهج عصبية وشقاق، ومن هنا تتضح أهمية المناظرة، حيث يجد الباحث فيها أن القرآن الكريم لم تقتصر المناظرة فيه على جانب دون آخر وإنما تمتد المناظرة مع الآخر فى القرآن الكريم ليشمل عالم الغيب وعالم الشهادة:

[1] المنهاج بترتيب الحجاج /٨

[2] حول أسئلة الحوار والوحدة / السيد محمد حسن الأمين/مجلة المنطلق اللبنانية/٢٦العدد ١٠٥

[3] الذريعة إلى مكارم الشريعة/ ٢٥٩

[4] جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٧٢

أما مناظرة عالم الغيب: فذلك أن الله تعالى عندما أراد أن يجعل فى الأرض خليفة حاور الملائكة واستجاب لتساؤلاهم ولم يقمعها وهو ربّ العزة الذى لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، ولكنه سبحانه أراد للكون كله أن يغتني بالحرية وتبادل الآراء ، والملائكة – مثل البشر– أعطوا حق المناظرة والمناقشة. وقد حاور الله تعالى إبليس عندما رفض السجود لآدم عليه السلام فسأله وأجابه ، "ومن خلال ذلك نفهم انه لا مقدسات فى الحوار، ولا ينبغى أن نرفض حوار ماً مع أيّ شخص كان إلا مع الغاصبين الأرض ويخرجون المسلمين من ديارهم [1]

وأما مناظرة عالم الشهادة فتنقسم إلى قسمين رئيسيين:

أولهما:المناظرة الخارجية. وتكون بين جماعة المسلمين وغير المسلمين من المشركين وأهل الكتاب

وثانيهما المناظرة الداخلية: وهو مناظرة تكون مع المنافقين، ومناظرة بين المسلمين أنفسهم فيما ليس فيه وحي ، أما الذى فيه وحي فلا مناظرة فيه وإنما أمرنا معه السمع والطاعة.

ومن ثم تعدّد أسلوب المناظرة كما أخبر بها القرآن الكريم، والتى تشمل الأنواع الآتية:

المناظرة الجدلية: وتبرز فى مناقشة القضايا التى تتعلق بالعقيدة، والتى أثارها الخصوم ليزرعوا الشك فى النفوس. وهذه المناظرة غايتها إثبات الحجة على المشركين للاعتراف بضرورة الإيمان بالله تعالى وتوحيده، والاعتراف باليوم الآخر وبرسالة محمد ﷺ ، وبطلان آلهتهم وصدق أقوال الرسول ﷺ كوصفه لما رأى، عندما عرج به إلى السموات العلى، كما فى سورة النجم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى {١} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى {٢} وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى {٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى {٤} عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى {٥}﴾ {النجم:١:٥. إلى أن قال: ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى {١٠} مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى {١١} أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى {١٢} وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى {١٣} عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى {١٤} عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى {١٥} إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى {١٦} مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى {١٧}

1) انظر الحوار فى القرآن / السيد محمد حسين فضل الله / ٤٥ ط دار الملاك بيروت لبنان ط السادسة ٢٠٠١م

لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى{١٨}﴾ { النجم:/١٠-١٨}

وفى هذه الآيات الكريمة يقيم البارى عز وجل الحجة على المشركين، وذلك أن رسوله يصدر فى أخباره عن يقين وعن رؤية حقيقية، بادئة من البصر الذى لا يزيغ،واقرة من الفؤاد الذى لا يكذب، وما سبق لصاحبه أن كذب فيكم قط مؤيدة من الله جلا جلاله، بالآيات الكبرى التى أراه الله إياها.

أما الطرف الآخر من المناظرة– والتى ينتظر أن يكون ردّ المشركين– فقد جاء بأسلوب الاستفهام منكراً عليهم معبوداهم، وكأنه يقارن بين الحقائق الدامغة التى جاء بها رسول الله من أخبار السماء ليلة المعراج، وبين معبوداهم السخيفة التى يروها أو يرون فيها القوة والجدارة بالعبادة فى زعمهم، وكأنه يقول لهم: أرأيتم هذه الأصنام هل هى أحق بأن تصدق عليها الألوهية من أن تصدقوا محمداً وهو الذى لم يكذب فيكم قط، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى {١٩} وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى {٢٠}﴾ النجم ١٩: ٢٠ثم يعيرهم الحق جلا جلاله [1] فى نسبة البنات "الملائكة" إلى الله مع أهم يكرهون أن تكون لهم البنات، ويتمنون البنين { النجم: ٢١: ٢٣}وفى هذا ما فيه من تناقض المشركين، إذ ينسبون إلى خالقهم المنعم المتفضل عليهم، ما يكرهونه لأنفسهم. ويبن الله لهم معيارهم فى التفكير، ومبلغهم من العلم، وأنه معيار خاطئ فارغ لا يغنى ولا ينتج شيئاً، إنه معيار الظن:{ النجم/آيه:٢٣} أي إن هى إلا آماهم الكاذبة، وما من إنسان يكون له كل ما يتمنى فى الحياة وبعد الممات، لذلك يسأل الله سبحانه، ويستمر الحوار بأسلوب الاستفهام الجدلي التهكمي: {النجم ٢٣: ٢٤} وتلك إحدى وسائل المناظرة فى القرآن، والتى تتناسب مع بعض أصناف الناس.

٢– المناظرة التشريعية:وتظهر فى القضايا التى كانت أصلا لحكم تشريعي، أو الأحداث التى أظهرت التطابق بين أحكام التوراة قبل تحريفها وبين التى جاء بها القرآن الكريم.

٣– المناظرة الاجتماعية: وهو التى تهتم ببعض العلاقات الاجتماعية التى كانت قائمة بين المسلمين وبين اليهود وغيرهم من أصحاب الديانات المختلفة.

٤– المناظرة المصيرية:وهو التى تحدد مصير اليهود بالمدينة المنورة خاصة والجزيرة العربية عامة "[2]

٥– المناظرة التربوية:وهى التى تهدف إلى تنمية النشئ من جميع الجوانب

1) أصول التربية الإسلامية ٢٢٣: ٢٢٤

2) حوار الرسول ﷺ مع اليهود د/ محسن بن محمد/ ١٥ ط دار الدعوة

العاطفية الربانية، والعقلية الربانية، والسلوكية الربانية، وهو أسلوب عقلي عام يربى الفكر على تحرى الحقائق "[1]

رابعاً أركان المناظرة

لمَّا كانت المناظرة أسلوباً حضارياً وضرورة إنسانية لا يتم التواصل إلا بها شريطة أن تتوافر فيها شروط المناظرة البناءة، شرع القرآن الكريم المناظرة وجعل لها حدود وضوابط وأكد على ضرورتها وأهميتها ، وذلك في كثير من آيات الذكر الحكيم، فيستطيع الباحث المسلم بالرجوع إلى النصوص الإسلامية أن يضع الضوابط والقواعد والآداب والأصول العامة التي ينبغي أن تتقيد بها مستوحاة فى أصولها من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومن التطبيقات الفعلية التى دارت فى القرآن الكريم، والأصول المنطقية البديهية المعروفة للعقل السليم والفطرة المستقية. وفيما يلي بيان ذلك.

أركان المناظرة (المتناظران، والموضوع) وشروطها:

للمناظرة ركنان أساسان هما :

الركن الأول :موضوع تجري حوله المناظرة. المراد بالموضوع المسألة أو نقطة البحث لا الموضوع المنطقي الذي يقابله المحمول.

الركن الثاني فريقان يتحاوران حول موضوع المناظرة، أحدهما مدَّعٍ أو ناقل خبر، والآخر معترض عليه .

فإن كان الموضوع تعريفا أو تقسيما سمي المعترِض عليه(مُستدِّلا) لأنه يستدل على عموم صحة دعوى خصمه،وسمي صاحب التعريف أو التقسيم (مانعًا) لأنه يقف مانعاً ومدافعاً عن تعريفه.

وإن كان الموضوع (تصْديقا) –أي قضية منطقية سواء أكانت مصرَّحا بها أم مفهومة من ضمن الكلام فالمعترض عليه يسمى (سائلا) وصاحب التصديق ومقدِّمه يسمى (مُعلِّلا) وبعد ذلك قد يتحول الأمر فيتبادلان الموقف فيتحول (السائل) إلى مقدم تصديق جديد- عندما يقدم قضية جديدة تؤيد دعواه فيكون حنئذ (معللا) ويكون المعلل الأول سائلا وهكذا تسير الأمور.

شروط المناظرة

لقد وضع علماء أداب البحث والمناظرة جملة من الآداب التى ينبغي أن يلتزم بها كل مناظر من المتناظرين محافظة على سلامة المناظر وتحقيقا للغرض منها ، لأن المناظرة لا يمكن أن تصل إلى هدفها

[1] نظر أصول التربية الإسلامية / عبد الرحمن النحلاوي / ٢٠٥:٢٣٣ط دار الفكر المعاصر ٢٠٠٣م

المنشود إلا بالتزام المتناظرين بمنهجية المناظرة من جهة وآدابها من جهة أخرى، لذلك ينبغي للمتناظرين أن يلتزما الشروط التالية:

١- **الشرط الأول** :أن يكون المتناظران على معرفة بما يحتاج إليه من قوانين المناظرة وقواعدها حول الموضوع الذي يريدان المناظرة فيه .

٢- **الشرط الثاني** :أن يكون المتناظران على معرفة بالموضوع الذى يتنازعان فيه، حتى يتكلم كل منهما ضمن الوظيفة المأذون له بها فى قواعد المناظرة وضوابطها ،فإذا تكلم لم يخبط خبط عشواء ، ولم يناقش فى البدهيات بغير علم، وإذا ألزم بالحق التزم به دون مكابرة. فان المناظرة قد تكون مضيعة للوقت اذ يتبين للمتناظرين بعد فترة طويلة أنهما كانا يركزان حديثهما على محورين مختلفين، أو وجهتين متفاوتتين، ولذا كان ديدن علمائنا البدء بتحرير محل النزاع وتشخيص أبعاده ليكون الاستدلال منتجا، وهذا شرط منطقي لا نحتاج للاستدلال عليه" [1].

٣- **الشرط الثالث** :أن يكون الموضوع مما يجوز أن تجري فيه المناظرة ضمن قواعد هذا الفن وضوابطه. فالمفردات والبدهيات الجليَّة مثلا لا تجرى فيها المناظرة أصلا. بحيث يسير البحث بشكل منطقي وتؤدي المقدمات الى النتائج بشكل طبيعي وذلك دونما تحايل أو مماطلة أو جدال عقيم، والنصوص التي تنهى عن الجدال والمراء كثيرة. منها قوله تعالى: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾.

٤- **الشرط الرابع** :أن يُجري المتناظران مناظرتهما على عُرْفٍ واحد، فإذا كان كلام المعلل جاريا مثلا على عرف الفقهاء فليس للسائل العارف بذلك أن يعترض عليه، استنادا إلى عرف النحاة أو الوضع اللغوي ،أو عرف الفلاسفة ،أو نحو ذلك .

٥- ذكر صاحب "المحجة البيضاء في إحياءِ الاحياء" أن من شروط المناظرة:: أن يقصد بها إصابة الحق وطلب ظهوره كيف اتفق، لا ظهور صوابه وغزارة علمه وصحة نظره، فان ذلك مراء منهيٌّ عنه بالنهي الاكيد" ويضيف "أن يكون في طلب الحق كمنشد ضالة يكون شاكراً متى وجدها ولا يفرق بين أن يظهر على يده أو يد غيره فيرى

[1] الفتح الرباني والفيض الرحماني ص ١٢٤.

رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق"[1]

آداب المتناظرين:

لقد وضع علماء آداب البحث والمناظرة جملة من الأمور التى ينبغي أن يلتزم المتناظرين بها محافظة على سلامة المناظرة وتحقيقا للغرض منها، ومن أهمها على سبيل المثال ما يلى:

١- أن يكون المتناظران مُتقاربين معرفة ومكانة، حتى لا يؤدي استعظام أحدهما الآخر أو استحقاره له، إلى أن يضعف عن القيام بحجته، أو يتهاون فيه.

٢- أن يُمهل المناظِر خصمه حتى يستوفي مسألته، كي لا يفسد عليه توارد أفكاره، وحتى يفهم مراده من كلامه، كي لا يُقوّله ما لم يقل.

٣- أن يتجنب المناظِر الإساءة إلى خصمه بالقول أو الفعل بغيةَ إضعافه عن القيام بحجته، ومن ذلك قلة الإصغاء إليه، والسخرية منه، وتخجيله بفضح عيوبه، وتشنيعه بالقدح في كلامه، والتطاول عليه بالتنقيص والشتم.

٤- أن يقصد المناظر الاشتراك مع خصمه فى إظهار الحق والاعتراف به، حتى لا يتباهى به إذا ظهر على يده، ولا يعاند فيه إذا ظهر على يد خصمه.

٥- أن يتجنب المناظر محاورة من ليس مذهبه إلاّ المضادة، لأن من كان هذا مسلكه لا ينفع معه الإقناع بالحجة

٦- أن يتجنب المناظر مجادلة ذى هيبة يخشاه، لئلا يؤثر ذلك عليه فيضعفه عن القيام بحجته كما ينبغي.

٧- ألاّ يظن المناظر خصمه حقيرا ضعيفا قليل الشأن، فذلك يقلل من اهتمامه، فيمكن خصمه الضعيف منه.

٨- ألا يظن خصمه أقوى منه بكثير حتى لا يتخاذل ويضعف عن تقديم حجته على الوجه المطلوب.

٩- ألا يكون في حالة قلق نفسي واضطراب، أو فى حاجة تفسد عليه مزاجه الفكري والنفسي: كأن يكون جائعا أو ظامئا أو نحو ذلك.

١٠- أن يتقابل المتناظران فى المجلس ويبصر أحدهما الآخر إن أمكن، ويكونا متماثلين أو متقاربين علما ومقدارا.

١١- ألا يكون المناظر متسرعا يقصد إسكات خصمه فى زمن يسير، لأن ذلك يفسد عليه رويته الفكرية ويبعده عن منهج المنطق السديد والتفكير فى الوصول إلى الحق.

[1] الفتاوى العالمكيرية وهي الفتاوى الهندية ٢/ ٢٥٩.

١٢- أن يجتنب كل منهما الهزء والسخرية وكل ما يشعر باحتقار المناظر وازدرائه لصاحبه أو وسمه بالجهل أو قلة الفهم: كالتبسم والضحك والغمز و الهمز واللمز.

١٣- أن يتحرز المناظر عن الاختصار المخل في الكلام وعن إطالة الكلام بلا فائدة ترجى من ذلك.

١٤- أن يجتنب المناظر الألفاظ الغريبة والألفاظ المجملة التى تحتمل عدة معان من غير ترجيح أحدها الذى هو المراد.

١٥- أن يأتيَ كل من المتناظرين بالكلام الملائم للموضوع فلا يخرج عما هما بصدده.

١١٦- ألا يعترض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهم مراده تماما.

.١٧- أن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه

.١٨- أن يقبل كل منهما الحق الذى هداه إليه مناظره، أو يعترف بأن قوة دليله تقدّم ترجيحا لوجهة نظره، أو لمذهبه، حتى يُكتشف شيء آخر يضعف دليله، ويجعله غير صالح للترجيح. أما الإصرار على الرفض فمكابرة ممنوعة، وأما المراوغة فهي هرب وانسحاب من

مجلس المناظرة. ومتى وجد المناظر هذه المراوغة من خصمه فمن الخير له أن يقطع المناظرة، ويلزم خصمه بالهروب والانسحاب، وليحذر من أن يستدرجه إلى موضوع آخر ثم آخر، وهكذا، فتتحول المناظرة إلى ما يشبه المصارعة الحرة التى ليس لها قيود ولا ضوابط، وهذا جدال محظور"[1]

وفى ذلك يقول الخطيب البغدادي: فينبغي لمن لزمته الحجة ووضحت له الدلالة أن ينقاد لها، ويصير إلى موجبها، لأن المقصود من النظر والجدل طلب الحق واتباع تكاليف الشرع، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ {١٨}﴾{الزمر/١٨}[2].

[1] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص ٧٤ و٧٥- د.طه عبد الرحمن ط. المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، الدار البيضاء، المغرب، وضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ١٦١-١٦٧ الطبعة السابعة ١٤٢٥هـ /و لغة الحوار فى القرآن الكريم / د. أبو زيد الإدريسي، ٢٣.

[2] الفقيه والمتفقه: أحمد بن علي بن ثابت البغدادي / ٢/ ٥٧ الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- تحقيق: إسماعيل الأنصارى ط ١٤٠٠هـ.

مراحل المناظرة ونتيجتها .

أ -مراحل المناظرة :تنقسم كل مناظرة سليمة إلى ثلاث مراحل :

-المرحلة الأولى :مرحلة (المبادئ) وفى هذه المرحلة يتم تعيين محل النزاع حتى لا يتشتت الفريقان فى أطراف غير متطابقة ،وحتى لا يتكلم كل منهما فى واد غير الوادي الذي يتكلم فيه مناظره .

-المرحلة الثانية :مرحلة (الأواسط) وفى هذه المرحلة تقدم الدلائل التى يظهر فيها لزوم المطلوب .

-المرحلة الثالثة :مرحلة (المقاطع) وهي مرحلة إذا انتهى البحث إليها انقطع، وهو ينقطع إذا انتهى إلى الضروري، وهو اليقين الذي يجب التسليم به بالضرورة العقلية، أو إذا انتهى إلى الظنّي الذي يُسلّم به الخصم

ب -نتيجة المناظرة :إذا عجز (المعلّل)عن رد اعتراض (السائل)كان المعلل (مُفحمًا) وإذا عجز (السائل)عن تصحيح اعتراضه كان(مُلزمًا)[1]

خامسا: قواعد المناظرة فى القرآن الكريم وأصولها

لقد بين لنا القرآن الكريم أصول منهج المناظرة ومعالمها وذلك من خلال مناظرة الأنبياء مع أقوامهم، فهو ينطلق من حقيقة الاختلاف بين البشر، وما يستلزمها من حرية الإنسان لينتهي إلى تأكيدها، وبالتالى فهو منهج لا يهدف إلى أكثر من دعوة الناس إلى التعرف على الحق بالتى هي أقوم، فالمناظرة وفق المنهج القرآني لا تنطلق من منطق الوصاية على الآخر، أو مجرد التعريض بما عند المناظر، وإنما هي قضية بحث عن الحق أين كان، وهذا لا يعنى أن المسلم عندما يدخل فى مناظرة مع الآخرين قد تخلّى عن تصوراته، لكن الموضوعية تتجلّى فى الاستعداد التام للتخلي عن جميع التصورات، وتبنى نقيضها إذا ما اتضح أنّ الحق مع الرأي الآخر، وهذا الاستعداد ليس مجاملة إنما هو تعهد يعبر عن مصداقية المسلم فى اتباع الحق، وهو تكليف إلهي صريح في مناظرة الآخر، ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾{الزخرف: ٨.}[2]

ومن هنا فإن المناظرة مع الآخر تقوم على أصول عامة قررها القرآن الكريم، وركز عليها، وجعلها أساساً لإجراء أي مناظرة، سواء أكانت مع أهل الكتاب، أم بين مسلمين، أم بين مسلم وكتابي أم بين شخصين بغض النظر عن دينهما فالمسلم يتعلم من القرآن أن المناظرة من خصائص المنهج القرآنى، : ويمكن أن نجملها فى النقاط الآتية:

أولا: المناظرة فى القرآن الكريم مبنية على العقل:

وذلك واضح من خلال مناظرات الأنبياء مع أقوامهم، والتى يتبين منها أن منهجهم ينطلق من الاعتماد على العقل ومراعاة الطرف الآخر، ويظهر هذا من مكانة العقل في القرآن الكريم فقد رفعه الله تعالى مكاناً عليا في كثير من آياته، وبوّأه منزلةً رفيعة لا نظير لها، إذ به يفكر الإنسان ويتدبر ويرتقى فى مدا رج العلم والمعرفة.

فالمناظرة فى القرآن تعتمد على المنطق العقلي، ونجد هذا بارزاً فى مناظرة النبي ﷺ للمشركين التى بدأت بافتراض أن هناك آلهة آخرى مع الله، ثم يحاورهم كيف تكون النتيجة بقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً {٤٢}﴾ "الإسراء :٤٢" وكما يقول سبحانه ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ "الأنبياء ٢٣" كما يتضح من الآيات أن القرآن يعتمد فى مناظراته على العقل المجرد بعيداً عن التأثر بعامل ما أو مؤثر خارج المناظرة.

ويقدم القرآن الكريم صوراً تشهد لقضية البعث كما حدث مع خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام عندما أراد أن يصل فى قضية إحياء الموتى من علم اليقين إلى عين اليقين فقال كما حكى القرآن: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ { البقرة:٢٦٠} فيتضح أن نبيّ الله إبراهيم يقرر فى مناظرته أنه مؤمن وذلك بقوله " بلى" ،وهو تقرير للواقع، مع أنه مؤمن حقيقة، ولكن هذا لا يتعارض مع التجرد الذى افترضه وقت المناظرة بدليل قوله: " ليطمئن قلبي" أى أن إبراهيم نبي. والمؤمن لابد أن يكون مطمئناً بالإيمان لنبوته، ولكن ذلك لا يمنع من افتراض عدم الاطمئنان ،بل عدم الإيمان أو النبوة أثناء المناظرة، وإذا كان قد بدأ فى هذا شئ من غرابة تدعو إلى التساؤل فالجواب أنه منهج إبراهيم الذى يضرب مثالا لايضاهى فى مقدرته الخارقة على المحاجة والمناظرة والإفحام"[1] وفى مناظرة آخرى- للخليل إبراهيم- يصل به فى مناظرته مع عبدة الكواكب أن جاراهم وافترض ربوبية الكواكب كما حكى القرآن عنه فقال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ

١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة،: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني١٦٧-١٦٨ الطبعة السابعة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار القلم ، دمشق،

٢) منهج الحوار فى القرآن الكريم/ ٢١٦

١) أسلوب المحاورة : د. عبد الحليم حفنى ٢٩

١١٩٨رأى كوكباً قال هذا ربي ﴾ { الأنعام: ٧٦ }.

" وعرض التجرد نفي وجود أي مؤثر على المناظر غير العقل ولو كان خروجاً مفترضاً على أهم صفة من صفات الرسل ألا وهي العصمة. وهذا نموذج على أن المناظرة في القرآن طابعها الاعتماد على العقل، ومتابعة هذا الاعتماد إلى أبعد مدى عقلي تحتاجه المناظرة. ولو كان خروجاً على أهم أسس القرآن نفسه ومبادئه، وهو معنى كبير وعميق وذو دلالات كثيرة؛ منها تمجيد الإسلام الواضح للعقل، ومنها ثقة الإسلام في رسوخ مبادئه وموافقتها لكل العقول " (١) ومن ثم فقد كانت دعوة النبي ﷺ محصوره في دعوة مبنية على الفكر فقط.

ثانياً:المساواة بين المتناظرين:

ومن أصول المناظرة في القرآن الكريم المساواة بين المتناظرين، فيما يتعلق بهذه المناظرة، وهذا أدعى إلى تأليف القلوب. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ {آل عمران من الآية: ٦٤}.

وفي ذلك يقول الحافظ بن عبد البر: " قالوا لا تصح المناظرة ويظهر الحق بين المتناظرين حتى يكونوا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والفهم والعقل والإنصاف وإلا فهوا مراء ومكابرة " (٢)

ثالثاً- مجارة الخصم: وذلك بتسليم بعض مقدمات دليله، ثم إظهار أن هذه المقدمات لا تفيد في اثبات دعواه، مع الإشارة إلى أنها لا تنتج ما يريده هو بل هي مساعدة على إنتاج ما تريده أنت وذلك لتبين عثرته: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ {١٠} قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ {١١} ﴾ { إبراهيم: ١٠، ١١} فقد سلموا لهم

١) أسلوب المحاورة: د. عبد الحليم حفني / ٣١

٢) جامع بيان العلم/ لابن رجب الحنبلي/ ٢/

أنهم بشر مثلهم، ثم بينوا لهم أن ذلك لا يتنافى مع الرسالة، بل هو من مقتضياتها ليتمكنوا من مخاطبتهم، وكونهم من البشر لا يمنع أن يَمُنَّ الله عليهم بالرسالة "(١)

فكأن الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون في الرد على المنكرين لنبوتهم: ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لا ننكره، ولكن دعواكم هذه لا تنتج عدم الرسالة ولا تنافى أن يمن الله علينا بها، بل البشرية شرط في الرسالة إلى عامة الناس. وفي هذا تسلم بعض المقدمات حيث يراد إلزامهم فقد اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية،فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم ،وليس مراداً بل هو من مجاراة الخصم ليعثر فكأنهم قالوا : ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي أن يمنَّ الله علينا بالرسالة(٢)فإن سنة الله جرت أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم، يعرفون قدره وصدقه، وأمانته، يقول الله موضحاً ذلك: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا {٥٩} ﴾ {الإسراء: ٩٥}وقد جاء أسلوب ١١٩٩ مجاراة الخصم في دعواه ، ثم بيان بطلانها بما تظهره من نتائج فاسدة. وذلك بأن يوافق المرء رأي الغير افتراضاً وينزل عند رأيه ، ويكون كأنه هو في رأيه افتراضاً ، وذلك لبيان ما يترتب عليه من الفساد والخلل،وهو شبيه التجريد، وهو : انتزاع من أمرٍ ذي صفة أمراً آخر مماثلاً له، لأجل المبالغة. فإذا علمنا: أن[التفعيل] من بُنية الإحداث، فسوف نعلم أن من أنزل نفسه منزلة غيره في أمرٍ ، إنما هو مفتعلٌ له مجاراةً لأجل إقامة الحجة عليه(٣).

لقد استعمل هذا الأسلوب القرآن الكريم، وذلك على لسان سيِّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام في مناظرته مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب كما جاء في سورة الأنعام / ٧٤ إلى ٧٩ .

رابعاً. الموضوعية في المناظرة والتحرّر من المؤثرات الخارجية:وذلك بأن يكون كلٌ من المتناظرين متصفاً بالموضوعية العلمية، والمنهجية الدقيقة.

١) آيات الإيمان في القرآن الكريم/ د. محمد ربيع جوهري ص ٧

٢) انظر المصدر السابق

٣) كليات أبي البقاء الكفوي الحنفي ت سنة ١٠٩٤هـ ،، مادة : تجريد ، وتنوين . طبعة حجرية سنة ١٢٨٤هـ / ومؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٩٢م

والتحرر من المؤثرات الجانبية التي تبعد عن طريق الوصول إلى الحقيقة. بمعني "الدخول الى مرحلة المناظرة بعد التخلي موقتاً عن كل القناعات السابقة والسعي لطلب الحق أينما كان.وهذا هو القرآن الكريم يخاطب الرسول الكريم وهو القمة في الايمان واليقين بأن يدخل في الحوار بروح موضوعية هادفة"[١] ليقول:﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {٤٩}﴾{القصص/٤٩}.

خامساً:الأسلوب المنصف: ويتجلى هذا فيما دعا إليه القرآن من وجوب إلزام كل واحد من الفريقين المتناظرين التقييد بالقول المهذب، والمحافظة على حق الخصم وإنصافه من كل وجه، وأنه ينبغى للمتناظرين البعد عن كل طعن أو تجريح أو احتقار لوجهة النظر التى يدعيها أو يدافع عنها من يناظره، وقد أرشدنا الإسلام إلى أنه يجب التقيد بهذه القاعدة فى كثير من آي القرآن العظيم كما فى مثل قوله تعالى:﴿ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾{ سبأ/ ٢}وقال تعالى:﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ {العنكبوت من الآية ٤٦}ومن هذه الآيات نستنتج أن منهج المناظرة يكون بالتى هى أحسن– أكثر من الحسنى- وذلك يشمل كل قول وفكر وعمل- ذلك أن المسلم ملزم لإثبات الحق الذى يؤمن به ويقنع الناس به أن يلتزم فى مناظرته مع خصمه أن يكون بالتى هى أحسن قولاً وفكراً وعملاً ومنهجاً وسبيلاً، ولا يسلك مسالك الطعن واللعن، والسب والشتم، والهمز واللمز، والسخرية بالخصم، وما شابه ذلك، فضلا عن البعد عن الفحش والبذاءة.....حتى لو كان الخصم غير مسلم، فهو مكلف بكل ذلك والالتزام بهذه الأصول والآداب – ذلكم أن الإسلام قد أكد ذلك فى آيات كثيرة من القرآن الكريم؛ يقول تعالى:﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾{الأنعام:١٠٨} وحكم على الهمازين واللمازين بالويل فقال تعالى:﴿ ويل لكل همزة لمزة﴾{الهمزة:١}وقال رسول الله ﷺ ﴿ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذيء"[٢]

[١] منح الجليل شرح مختصر خليل ٩/ ٢٠٦.

[٢] صحيح ابن حبان / رقم (١٩٢) ١/٤٢١، وسنن الترمذي: ٣٥٠/٤، ب. ما جاء فى اللعنة – رقم (١٩٧٧)

وفى ضوء ذلك يمكن أن نجمل أهم النواحى التى راعى منهج القرآن أن تكون من حق الخصم وتكمن فى مجموعة من القواعد نجملها فيما يأتى:

القاعدة الأولى: تخلى كل من الفريقين المتصدِّين للمحاورة الجدلية (المناظرة) حول موضوع معين، عن التعصب لوجهة نظره السابقة، وإعلانهما الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة، والأخذ بها عند ظهورها، سواء أكانت هى وجهة نظره السابقة، أم وجهة نظر الطرف الآخر ، أم وجهة نظر أخرى.

وهذه القاعدة يرشدنا إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى حكاية عن النبي محمد ﷺ فى أثناء مناظرته مع المشركين، يقول لهم– كما حكاه القرآن الكريم – ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ {سبأ: ٢٤} فقد علم الله الرسول صلوات الله عليه أن يقول للمشركين في مناظرته لهم ﴿وإنّا أو إياكم لعلى هُدىً أو فى ضلال مُبين﴾وفى هذا غاية التخلي عن التعصب لأمر سابق وكمال إعلان الرغبة بنشدان الحقيقة أنّى كانت .

يقول الإمام القرطبي: "هذا على وجه الإنصاف فى الحجة كما يقول القائل: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب، والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل على أمرين متضادين، وأحد الفريقين مهتد، وهو نحن، والآخر ضال، وهو أنتم". [١]

وقال بعض أهل العلم : "وقد علم أنه على هدى، وأنهم على ضلال مبين، ولكنه رفق بهم في الخطاب، فلم يقل: أنا على هدى، وأنتم على ضلال". [٢]

وفى هذا المنهج القرآني يعلمنا الله تعلى أدب التعامل مع الآخرين، وهو يؤدب نبيه بقوله: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ {الزخرف: ٨١}وقيل: المعنى: قل يا محمد: إن ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد ولده، ولكن يستحيل أن يكون له ولد، وهو كما تقول لمن تناظره: إن ثبت ما قلت بالدليل، فأنا أول من يعتقده، وهذه مبالغة في الاستبعاد، أي لا سبيل إلى اعتقاده، وهذا ترقيق فى الكلام،والمعنى على هذا: فأنا أول العابدين لذلك الولد، لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد". [٣]

١) الجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٨٩).

٢) المصدر السابق ١٤/٢).

٣) المصدر السابق ١٦/١١٩).

وهذا القول من النبي ﷺ: " لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف فى الكلام وحسن الخطاب. مع أنه "قد علم أن الحق معه، وأن مخالفيه في الضلال المبين ".(١)

مع أن المناظرة والتخلي عن التعصب أو التحيز لأمر سابق فى هذه الآية يتعلق بقضية مهمة فى صدد توحيد الخالق سبحانه وتعالى أو الإشراك به. وهما على طرفي نقيض لا يجتمعان بحال، ويدوران حول أصل عظيم من أصول العقيدة فى أحدهما الحق وفى الآخر الباطل والضلال المبين . ومع هذا نجد غاية الإنصاف والبعد التام عن التعصب من رسول الهدى ﷺ، ويعرض الأمران عرضاً نزيهاً كما فى الأية السابقة.

ولعلنا نلمح هنا عظمة منهج المناظرة الذى سنه القرآن الكريم للنبي محمد ﷺ ، حيث لم يطرح المناظر صحة رأيه وخطأ الرأي الآخر،-كما جاء فى آية سورة سبأ/٢٤-، بل على أساس أن أي فكرة مطروحة يتساوى فيها احتمال الخطأ والصواب، وهو ما يعزز من فرص إدارة المناظرة بأكبر قدر من الموضوعية العلمية التى تنشد الحقيقة من موقف حيادي، دون تعقيد او تهويل ،بل إن الأمر تجاوز هذا إلى ما هو أبعد منه وهو ما أمر أن يقوله ﷺ لمخالفيه ﴿ قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تجرمون﴾ فإذا كان الطرف الآخر يرى أننا أجرمنا فلن يسأل عن أجرامنا، وهذا أبعد فى الإنصاف من الأسلوب السابق وهو يقطع الطريق على الخصم.

فهذه الآية الكريمة تطالب بتخلي كل من الفريقين المختلفين عن التعصب وإعلائهما الاستعداد للبحث عن الحقيقة.

فالموضوعية فى المناظرة تجعل البرهان هو مقياس الحقيقة، وفى ضوء الدليل والبرهان يجب أن نحدد قناعاتنا ونرفع الشك الذى بدأنا به، والدعوة إلى إقامة البرهان والمطالبة به ملأت صفحات القرآن الكريم، وكأن منطق ﴿ قل هاتوا برهانكم﴾ هو المنطق الحاكم فى كل ما دعا إليه القرآن، وفى ذلك يقول الباري عز وجل ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ {البقرة: ١١١} وقال سبحانه: ﴿أم تخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم﴾"الأنبياء: ٢٤" وقال تعالى: ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾{ النمل: ٦٤}

١ جامع البيان ١٠٣/٢٥).

فالموضوعية تقتضي أن يلتزم المتناظرين بالآداب الآتية:

التجرد حين المناظرة من الأفكار السابقة، والاحتكام إلى العقل بعيداً عن الهوى الشخصي الذى يجب على المتناظرين أن يتجنبوها استجابة لقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ {الجاثية: ٢٣} وقال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾{ ص/ ٢٦}.

كما أن المناظرة الموضوعية يقتضى أن يمتلك الإنسان القدرة والشجاعة الأدبية على التنازل عن رأيه أمام الحجة والبرهان، ولا يتورط فى عناد أعمى وتعصب عاطفي. وهذا ما التزمه القرآن الكريم فى مناظراته، ولم يجد حرجاً فى قبول الحقيقة مهما كانت، مادام البرهان قائماً عليها، بقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {٤٩}﴾ {القصص: ٤٩}.

والخطاب فى هذه الآية الكريمة للكفار الذين يخالفونك يا محمد، فقل لهم: هاتوا كتاباً من عند الله هو أهدى من القرآن والتوراة حتى أتبعه ، ومعنى ذلك أن الرسول ﷺ يجب أن يكون على مستوى التنازل لهم إن جاءوا بالحقيقة .

ذلك أن التعصب من المنظور القرآني حالة مرضية تعني قصوراً فى العلم، وحجاباً يحجب الحق، إن تجرد المناظر وحياده التام وشعاره يجب أن يكون: معرفة الرجال بالحق لا الحق بالرجال، وما ضعف حال المسلمين وجمدت حركة الفكر الديني والعلمي إلا يوم أن أصبحت المناظرة تقوم على قيم سلبية من الهوى والمصلحة الشخصية، ونصرة المذهب والرأي، وحب الغلبة، من غير اعتماد على علم أو معرفة أو تقوى، ويوم أن أصبح المعيار فى القبول والرد هو صاحب القول فى ذاته، إنه إن نسبت الكلام إلى قائل حَسنُ فيه اعتقادهم قبلوه وإن كان باطلا، وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردوه إن كان حقاً، فهم يعرفون الحق بالرجال، ولا يعرفون الرجال بالحق، وهو غاية الضلال"(١).

وما أجمل ما ذكره الإمام الشاطبي فى مقدمة كتابه "الموافقات" فى أسس ومنهجية أدب المناظرة فى الإسلام قال:" إياك وإقدام الجبان، والوقوف مع الطرق الحسان، والإخلاد إلى مجرد التصميم من غير بيان، وفارق وهن التقليد راقياً إلى يفاع الاستبصار، وتمسك من هديك بهمة تتمكن بها من المدافعة والاستنصار، إذا تطلعت الأسئلة الضعيفة

١) المنقذ من الضلال – للإمام الغزالى – ١٤٤ط مكتبة الأنجلوا المصرية ١٩٥٥م

١٢٠٤والشبه القصار، والبس التقوى شعاراً، والإنصاف بالإنصاف دثاراً، واجعل طلب الحق لك نحلة، والاعتراف به لأهله ملة، لا تملك قلبك عوارض الأعراض، ولا تغر جوهره قصدك طوارق الأعراض، وقفْ وقفةَ المتخيرين لا وقفة المتحيرين، إلاَ إذا اشتبهت المطالب، ولم يَلُحْ وجه المطلوب للطالب، فلا عليك من الإحجام وإن لج الخصوم، فالواقع فى حمى المشتبهات هو المخصوم، والواقف دونها هو الراسخ المعصوم، وإنما العار والشنار على من اقتحم المناهى فأوردته النار، لاتدر مشرب العصبية، ولا تأنف من الإذعان إذا لاح وجه القضية، أَنَفَة ذوي النفوس العصبية، فذلك مرعى لسوامها وبيل، وصدود عن سواء السبيل"(١)

. التجرد من المؤثرات والاحتكام إلى حكم يقبله المتناظرون، ونستطيع أن نضرب مثالا للتجرد من تأثير المؤثرات أن تكون هناك مناظرة بين مؤمن وكافر، ويحاول المؤمن أن يثبت وجود الله فلو قال المؤمن للكافر أنا مؤمن بوجود الله ، ثم قال أى شيء بعد ذلك. فليست هذه محاورة، بل هي إلزام للخصم والأمر كذلك لو قال له، الله قال كذا، أو

(١) الموافقات للإمام الشاطبي /١/ ٢٥ / تحقيق: عبد الله دراز ط دار المعرفة . بيروت

الرسول قال كذا، لأن الآخر لا يؤمن بالله ولا بالرسول، وإنما المناظرة المنطقية السليمة أن يتجرد كل من الخصمين أثناء المحاورة من عقيدته افتراضا، ومن انتمائه إلى ما يؤثر عليه فيما يتعلق بموضوع المحاورة"(٢)

القاعدة الثانية تقيُّد كل من الفريقين بالقول المهذب ،البعيد عن كل طعن و تجريح ،أو هزء أو سخرية، أو احتقار لوجهة النظر التى يدعيها أو يدافع عنها مَن يحاوره.وقد أرشدنا الإسلام إلى التقيد بهذه القاعدة فى نصوص كثيرة، منها قول الله تعالى لنبيه في سورة النحل﴿ :وجادلهم بالتي هيَ أحسنُ﴾ { (١٢٥)}، وقوله تعالى للمؤمنين في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {٤٦}﴾{العنكبوت/٤٦} وقال الله تعالى يخاطب رسوله والمؤمنين ا ﴿ :ولَا تسبُّوا الذينَ يَدْعُون مِن دون الله فَيسُبوا الله عَدْوًا بغيْرِ ﴾.{المؤمنون/

(٢) أسلوب المحاورة فى القرآن / د. عبد الحليم حفنى ص ٣٢

القاعدة الثالثة :الالتزام والتمسك بالطرق المنطقية السليمة فى المناظرة والجدال، ويدل على هذا عموم الأمر ، بأن يكون الجدال جدالا بالتى هي أحسن فى قوله تعالى ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ﴾ ومن الالتزام بالطرق المنطقية السليمة ما يلى :

أولا :تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدّعاة.

ثانيا:إثبات صحة النقل للأمور المنقولة التى يزعمونها " المروية" ومن ذلك أخذ علماء فن "آداب البحث والمناظرة "قاعدتهم المشهورة التي يقولون فيها : "إن كنت ناقلا فالصحة او مدعيا فالدليل ".ولقد جاءت آيات القرآن الكريم تبين بجلاء مدى تمسك الأنبياء عليهم السلام بتلك القاعدة فى جميع مناقشاتهم مع المشركين والمخالفين، فقد طالبهم القرآن بالبرهان والدليل على صحة ما يقولون . فى آيات كثيرة منها:

قول الله تعالى: ﴿: أمَّن يَبْدؤا الخلقَ ثم يعيدُه ومن يرزقكم من السماء والأرض أإلهٌ مع الله قلْ هاتوا برهانكم إنْ كنتم صادقينَ ﴾{سورة النمل/٦٤ }. وقول الله تعالى: ﴿ أم اتَّخذُوا من دُونه آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ١٢٠٥ {٢٤}﴾ {سورة الأنبياء ٢٤}.

ففى هذين الآيتين يأمر الله رسوله بأن يطالب المشركين بتقديم برهانهم على ما يدّعون، ويشمل البرهان فى مثل هذا الادعاء البرهان العقلي والبرهان النقلي، فآية سورة النمل تطالب المشركين بتقديم البرهان بشكل عام عقلياً أو نقلياً، وآية الأنبياء تشير إلى مطالبتهم بالبرهان النقلي.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {١١١}﴾{البقرة :١١١}.وفى هذه الآية يطلب الله من رسوله الكريم أن يطلب مّمن ادعوا أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى أن يقدموا الدليل والبرهان على ما يقولون.(١)

القاعدة الرابعة :ألا يكون المناظر ملتزما فى أمر من أموره بضد الدعوى التى يحاول أن يثبتها، فإذا كان ملتزما بشيء من ذلك كان حاكما على نفسه بأن دعواه مرفوضة من وجهة

(١) انظر أصول البحث والمناظرة – د طلعت الغنام ١٧- ١٨

نظره.ومن الأمثلة على سقوط دعوى المناظر بسبب التزامه بضد دعواه وقبوله له :استدلال بعض من أنكر رسالة محمد صلوات الله عليه بأنه بشر، وزعم هؤلاء أن الاصطفاء بالرسالة لا يكون لبشر وإنما يكون للملائكة، أو مشروط بأن يكون مع الرسول من البشر مَلك يُرى ،وفى اعتراضهم على بشريته قالوا فيما حكاه القرآن الكريم عنهم :﴿ مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾{الفرقان/٧} مع أنهم يعتقدون برسالة كثير من الرسل السابقين كإبراهيم وموسى وعيسى،وهؤلاء فى نظرهم بشر وليسوا ملائكة ،ولذلك أسقط الله دعواهم وأجابهم سبحانه بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾{الفرقان/ ٢٠}

القاعدة الخامسة :ألاّ يكون فى الدعوى أو الدليل الذى يقدمه المناظر تعارض ،أي ألا يكون بعضُ كلامه ينقض بعضَه الآخرَ، فإن كان كذلك كان كلامه ساقطا بداهة .ومن أمثلة ذلك قول الكافرين حينما كانوا يرَوْن الآيات الباهرات تنزل على رسول الله ﷺ فيما حكاه القرآن الكريم عنهم ﴿سحرٌ مُستمرٌ﴾، وقد حكى الله لنا دلك بقوله ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ {١} وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ {٢}﴾{القمر:٢} ففى قولهم هذا تعارض وتهافت ظاهر لا يستحق ردا،وذلك لأن من شأن السحر كما يعلمون أن لا يكون مستمرا، ومن شأن الأمور المستمرة ألا تكون سحرا، أما أن يكون الشيء سحرا ومستمرا معا فذلك جمع عجيب بين أمرين متضادين لا يجتمعان .ونظير ذلك قول فرعون عن موسى عليه السلام حينما جاءه بسلطان مبين من الحجج الدامغة والآيات الباهرات: ﴿ ساحر أو مجنون﴾ وقد قص الله علينا دلك بقوله ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {٣٨} فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ {٣٩}﴾ {الذاريات/٣٩} فمن غير المقبول منطقيا أن يكون الشخص الواحد ذو الصفات الواحدة مترددا بين كونه ساحرا وكونه مجنونا، وذلك لأن مِن شأن الساحر أن يكون كثير الفطنة والذكاء والدهاء ، وهذا أمر يتنافى مع الجنون تنافيا كليا .فكيف صح في فكر فرعون هذا الترديد بين كوْن موسى ساحرا وكونه مجنونا ؟

القاعدة السادسة :ألا يكون الدليل الذى يقدمه المناظر ترديدا لأصل الدعوى ، فإذا كان كذلك لم يكن دليلا، وإنما هو إعادة للدعوى بصيغة ثانية . وسقوط هذا فى المناظرة أمر بدهي، وقد يخفى على الخصم إذا استخدم المناظر براعته في تغيير الألفاظ وزخرفتها ،ولكنها حيلة باطلة لا يلجا إليها طلاب الحق .

القاعدة السابعة:عدم الطعن بأدلة المناظر إلا ضمن الأصول المنطقية، أو القواعد المسلم بها لدى الفريقين المتناظرين .

القاعدة الثامنة :إعلان التسليم بالقضايا والأمور التى هي من المسلمات الأولى، أو من الأمور المتفق بين الفريقين المتناظرين على التسليم بها ،أما الإصرار على إنكار المسلمات فهو مكابرة قبيحة ومماراة منحرفة عن أصول المناظرة، والمحاورة الجدلية السليمة ،وليست من شأن طالبى الحق .

القاعدة التاسعة :قبول النتائج التى تُوصل إليها الأدلة القاطعة ،أو الأدلة المرجحة إذا كان الموضوع مما يكفي فيه الدليل المرجح .وإلا كانت المناظرة من العبث الذى لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه .

تلك هى أصول وقواعد المناظرة يتبين منها أنه يجب أن يكون كلٌّ من المتناظرين منصفاً متصفا بالموضوعية العلمية، والمنهجية الدقيقة.

والتحرر من المؤثرات الجانبية التى تبعد عن طريق الوصول إلى الحقيقة.

وقد كان النبيّ ﷺ يحاور المشركين ليقودهم إلى الإقرار بالحقيقة من خلال تجميده لقناعته، فبرغم أنّ النبي لديه كتاب مبين لكنّه يطالب محاوريه بالابتداء من نقطة الصفر وتناسى أساسيات الفكر والعقدة ، حتى يكون المناظر متحرراً من أي عامل خارجي . ولأجل أن نضع ذلك في إطاره الواقعي، فإنّنا لا يمكن أن ننكر أو نتجاهل أساسياتنا الفكرية، فالمسلم يحاور وهو يحمل فكر الإسلام فى داخله، والكافر يحاور وهو يحمل آراءه فى ذهنه، ولكنّ المراد من تجميد القناعات السير بالحوار خطوة خطوة، وذلك باستدراج العقل إلى ساحة الحقيقة دون ضغط، وإنّما بإدراك أن هذا الذى يقوله الآخر ذو حجّة بالغة، وبرهان ساطع، ودلائل مقنعة.

وقد تكون المؤثرات نفسية تنطلق من الحبّ والبغض والمزاج والتعصب، ولو تابعت جميع حوارات النبي ﷺ لرأيت أنّه كان يحاور الكافرين والمشركين وأبناء الديانات الأخرى بحبّ، أي أنّه لم يكن يكرههم ولكنه يكره كفرهم وشركهم ونفاقهم ، فيعمل — من

على تخليصهم من هذه الانحرافات وتلك هي الإيجابية: التى تتسم بها المناظرة الموضوعية التى ترى الإيجابيات والسلبيات فى الوقت نفسه ، ويرى العقبات ويرى أيضا إمكانات التغلب عليها ، وهو حوار صادق يتسم بالعمق وواضح الكلمات ومدلولاتها، وهو الحوار المتكافئ الذي يعطى لكلا الطرفين فرصة التعبير والإبداع الحقيقي، ويحترم الرأي الآخر، ويعرف حتمية الخلاف فى الرأي بين البشر، وآداب الخلاف وتقبله.والرضا والقبول بالنتائج التى يتوصل إليها المتحاورون، والالتزام الجادّ بها،وبما يترتب عليها. وإذا لم يتحقق هذا الأصل كانت المناظرة ضرباً من العبث الذى يتره عنه العقلاء .

ولنتأمل هذه المناظرة التى تجري بالحكمة والموعظة الحسنة بين النبي ﷺ وهذا الأعرابي: فقد «جاء إلى المدينة المنورة أعرابي من البادية، يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أحسنت إليك فقال الأعرابي لا ولا قال فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى أكذلك فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديه فأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها» (١)، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار. وهنا أراد النبي ﷺ أن يقدّم لأصحابه درساً فى (المناظرة) البعيدة عن الانفعال و (العنف)

(١) إحياء علوم الدين – الغزالى/ ٢/ ٣٧٩، تفسير ابن كثير / ٢/ ٥٣١، وانظر. C:\Documents and Settings\p\My Documents\أخلاقية الأسلوب في الحوار.htm

ذلك أن إنّ المناظرة التى تدور فى جو نفسي رائق أضمن فى الوصول إلى النتائج المرضية. ولذلك لا نتردد فى القول إنّ (المناظرة فن) وليس قدرة كلامية أو ثقافية فقط".

كما أن المناظرة التى تقوم على الصدق، ويقصد بها إظهار الحق، بعيداً عن الإكراه ،أو إظهار الشهرة والتغلب على الخصم، والمستندة إلى قوة الحجة والبيان وصدق البرهان والعلم بالقرآن، هى المحمودة التى يندب إليها الشرع الحكيم.، أما المناظر الرامي إلى إخضاع الآخر إلى فكر أوحد منبثق من رأي أوحد، مع القضاء على ما سواه، وصولاً إلى السيطرة والهيمنة فهذه هي المناظرة المرفوضة، فإذا أردنا للمناظرة أن تكون منهجاً علمياً فلا بد من ارتباطها بعفة اللسان وحسن الإصغاء ومجانبة الغرور والتعالى على العباد، فالله تعالى وحده العليم بذات الصدور المطلع على أعمال القلوب، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم ٣٢).

أحوال المناظرة

الإفحام والإلزام:

الإفحام :هو عجز (المعلّل) صاحب التصديق عن إثبات مطلوبه – ومنه يقال: إلزام السائل، وإفحام المعلل. ويقال للمغلوب منها " مبهوت " من قوله تعالى : ﴿فبهت الذي كفر﴾{البقرة/٢٥٨} .

وهذا مسلك القرآن فى أدلته وطرق الاقناع ، والتوجيه ، والارشاد ، أتى بطرق الإلزام والإفحام ، فهو يسوق أدلته مستدلاً مقرراً ، أو ملزمًا مفحمًا ، فاكتملت به الهداية وقامت به الحجة قال تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾{ النساء: ٨٢}.ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ {البقرة / ٨٧}،وقوله تعالى :﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾{البقرة / ٨٥}.والاحتجاج على الخصم يجب أن يكون بمثل مفحم وملزم له إذ لا يستطيع أن يجيب عليه ، فإن الأخذ ببعض الكتاب يوجب الأخذ بجميعه ، والالتزام ببعض الشرائع يوجب الالتزام بجميعها ، ولا يجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات ،

إذ لو كان الشرع تابعًا للهوى والشهوات لكان في الطباع ما يغني عنه ، وكانت شهوة كل واحد وهواه شرعًا له قال تعالى :﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ {المؤمنون / ٧١} .

أما لإلزام: فهو عجز (السائل) المعترض عن دفع كلام المعلل. ولإلزام ضربان: إلزام بالتسخير من الله أو بالقهر من الإنسان، وإلزام بالحكم ومنه ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ [1] وعلى ذلك فالدليل الإلزامي ما سلم عند الخصم سواء كان مستدلا عند الخصم أم لا"[2]

و يوضح ذلك ابن عاشور في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ {العنكبوت /٤٦} بقوله:"وعطف (وقولوا آمنا) إلى آخر الآية تعليم لمقدمة المجادلة بالتى هي أحسن . وهذا مما يسمى تحرير محل النزاع وتقريب شقة الخلاف وذلك تأصيل طرق الإلزام في المناظرة وهو أن يقال قد اتفقنا على كذا وكذا فلنحتج على ما عدا ذلك فإن ما أمروا بقوله هنا مما اتفق عليه الفريقان فينبغي أن يكون هو السبيل إلى الوفاق وليس هو بداخل في حيز المجادلة لأن المجادلة تقع في موضع الاختلاف ولأن ما أمروا بقوله هنا هو إخبار عما يعتقده المسلمون وإنما تكون المجادلة فيما يعتقده أهل الكتاب مما يخالف عقائد المسلمين مثل قوله﴿أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {٦٥} هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {٦٦} مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {٦٧} ﴾ {آل عمران/٦٥-٦٧}. ولأجل أن مضمون هذه الآية لا يدخل في حيز المجادلة عطفت على ما قبلها ولو كانت مما شملته المجادلة لكان ذلك مقتضيا فصلها لأنها مثل بدل الاشتمال "[3]

ومن ثم فإن جميع الأدلة القرآنية إلزامية ؛ لثبوت الإعجاز لها من جهة ، ولسلامتها من التناقض والاختلاف من جهة أخرى .

١) التعاريف ١/ ٨٧

٢) المصدر السابق ١/ ١٤٠

٣) التحرير والتنوير ١/ ٢٣٠٤

الغصب: هو استدلال السائل على بطلان تصديق نظري لم يقم صاحبه عليه دليلاً أو استدلاله على بطلان تصديق بديهي خفي لم يقم صاحبه عليه تنبيهاً"[1]

وعرفها صاحب المسامرة بقوله: "هو أخذ منصب الغير،يشمل ما إذا كان خصماً أو غيره، كما يأخذ منصب المعلل أو السائل أو الناقل، ولا يترك لأى منهما فرصة إقامة الدليل على دعواه".[2]

فاستدلال السائل على فساد دعوى أو مقدمة قبل استدلال المعلل عليها : غصب – لأنه أخذ لمنصب المعلل . واستدلال الناقل على ما نقله غصب لأنه أخذ لمنصب المعلل لأنه المطالب بالاستدلال.

فكل ما صح للسائل أن يمنعه [أى يطلب من المعلل إقامة الدليل عليه] ثم قام السائل بالاستدلال على بطلان دعوى المعلل قبل أن يقيم المعلل استدلاله على دعواه. فهو غصب ممنوع.

فحق السائل فقط أن يمنع الدعوى التى لم يقم الدليل عليها، أو يمنع مقدمة بعينها من دليل المعلل، ويطالب بإقامة الدليل على هذه المقدمة ، ولا يجوز له قبل ذلك أن يستدل على بطلان تلك المقدمة ، فإن أقام الدليل عليها قبل استدلال المعلل كان هذا غصباً .والمنع قد يكون مقترناً بالسند، وقد يكون غير مقترن بالسند.

أنواع الغصب :

الغصب نوعان: منه ما هو مسموع، ومنه ما هو غير مسموع. والمسموع منه ما هو مقبول مستحسن ومنه غير مستحسن.

١ – الغصب غير المسموع: هو استدلال السائل على فساد دعوى أو مقدمة معينة قبل الاستدلال عليها من المعلل : لأنه لو جوز للسائل الغصب فيهما لأعرض المعلل عن الاستدلال على المدعى أو المقدمة واستعمل الغصب هو أيضاً في مقدمة السائل ، وهكذا تجري المغاصبة بينهما فيبعدان عن إظهار الحق .

٢- الغصب المسموع: المستحسن هو: النقض والمعارضة، لأن كلا منهما غصب، إذ هما استدلال السائل على فساد مقدمة ضمن فساد مجموع الدليل.

وجوز سماعهما للضرورة: لأن السائل قد لا يعلم موضع الخلل في الدليل على التعيين فيضطر إلى النقض

١) آداب البحث والمناظرة / للشيخ محمد الأمين الشنقيطي/٦٣ ط مطبعة العلم بجدة

٢) كتاب المسامرة / للشيخ محمد على سلامة /٥٥.

والمعارضة، لأنه لو لم يجز له ذلك لا ضطر إلى قبول دليل باطل في اعتقاده لعدم تنبيهه إلى فساد مقدمة معينة فيه . أما إذا كانت معينة فإنه يمكن منعها بالسند القطعي – فلا ضرورة إلى الاستدلال على فسادها .

والغصب المسموع غير المستحسن: فهو أخذ الناقل منصب المعلل. كما إذا قال الناقل مثلاً [قال أبو حنيفة رضي الله عنه (إذا جامع المظاهر فى خلال صيام للكفارة استأنف) ثم استدل بقوله تعالى :(قبل أن يتماسا) فالأصل فى منصب الناقل تصحيح نقله فقط ، فلما استدل عد غاصبا لآخذه منصب المدعى "(١)

المصادرة على المطلوب: هي التى تجعل النتيجة جزء القياس، أو تلزم النتيجة من جزء القياس، أو جعل نتيجة الدليل هى إحدى مقدمات الدليل بتغير فى اللفظ يكون سبباً لتوهم المغايرة بين النتيجة والمقدمة

والغرض من المصادرة: هو إيهام المستدل خصمه بمغايرة النتيجة للمقدمة، لذلك فهي وظيفة ممنوعة غير مقبولة فى الاستلال ،وللخصم : دفع الدليل بعلة المصادرة فيه – وطالب الحق لا يعتمدها لما فيها من التلبيس والإيهام .

– كقولنا : الإنسان بشر ، وكل بشر ضحاك، ينتج أن الإنسان ضحاك، فالكبرى ها هنا والمطلوب شيء واحد، إذ البشر والإنسان مترادفان، وهو مصداق الشيء ما يدل على صدقه"(١)

وكأن يقول : هذا أسد، وكل أسد ليث – ينتج هذا ليث – وهذه النتيجة هي نفس الصغرى التي هي هذا أسد، إذ لا فرق بين : هذا أسد وهذا ليث، لترادف الليث والأسد – وينبغي اجتناب المصادرة فى المناظرة لما فيها من الإيهام الذى بينا، والمكابرة كما سيأتي معناها، وأنها غير مقبولة .

السَّفْسَطَةُ: كلمةٌ يونانيّةٌ مَعْنَاهَا: الغَلَطُ والحِكْمَةُ المُمَوَّهَةُ، وهو قياس مركب من الوهميات يفيد خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وهو فاسد، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته،فهى عبارة عن محاججة تبدو وكأنها موافقة للمنطق، لكنها تصل فى النهاية إلى استنتاج غير مقبول، سواء لتعذره، أم لاستعماله الإرادي المغلوط لقواعد

(١) ضوابط المعرفة /٤٥٩

(٢) كتاب المسامرة / للشيخ محمد على سلامة / ص ٥٦،٥٧ و التعاريف ٢٧٧/١

الاستنتاج، وبالتالى فإنه يمكن اعتبارها قولاً مموَّهًا، أو قياسًا له شكل صحيح، لكن نتيجته باطلة، والقصد منه تضليل الآخرين – مشيرين هنا إلى أن ابن رشد كان يسمى السفسطة بالمغالطة والقياس السفسطائي بالقياس المغلوط "(١)

المغالطة: قياس فاسد، إما من جهة الصورة وإما من جهة المادة. أما من جهة الصورة فبالا تكون على هيئة منتجة لاختلال شرط بحسب الكيفية أو الكمية، أو الجهة، كما إذا كانت كبرى الشكل الأول جزئية، أو صغراه سالبة، أو ممكنة. وأما من جهة المادة فبأن يكون المطلوب وبعض مقدماته شيئا واحدا، وهو المصادرة على المطلوب؛ كقولنا كل إنسان بشر، وكل بشر ضحاك، فكل إنسان ضحاك، أو بأن يكون بعض المقدمات كاذبة شبيهة بالصادقة وهو إما من حيث الصورة وإما من حيث المعنى (٢)

المَنْعُ:هو "طَلَبُ الدَّلِيلِ عَلَى مُقَدِّمَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، ويُسَمَّى مُنَاقَضَةً ، ونَقْضًا تَفْصِيلِيًّا ، أيضًا "(٣) فالمنع معناه عند أهل هذا الفن طلب الدليل على مقدمة بشرط أن لا يكون قد أقام عليها دليلا

وللمنع في عرف أهل الفن معنيان "الأول أعم يتناول النقض والمناقضة والمعارضة جميعا، والثاني يقال له مناقضة..."(٤)؛ والمعنى الأخص وهو الذي ينعت بالمناقضة وتساويه مع المناقضة في الحد ناتج عن كونهما يعترضان على مقدمات الدليل "المناقضة منع مقدمة معينة من مقدمات الدليل أو كل منهما مجردا أو منع السند..."(٥)

وكذلك المنع هو اعتراض على "بعض مقدمات الدليل أو كلها على سبيل التعيين..."(٦)

ومنع بعض مقدمة الدليل أو كلها لا يعنى إلا مطالبة بالدليل؛ لأن منع مقدمة الدليل أو كلها ليس دليلا. ومن هنا اشترط أهل هذا الفن أن يكون منع المانع مطالبة وإلا كان منعه غصبا للمعلل (٧)،

(١) تاج العروس ٤٨٦٧/١، وا بجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم/ صديق بن حسن القنوجي ٥٢٦/٢/ دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٧٨ /تحقيق : عبد الجبار زكار / والتعاريف ١٥٨.

(٢) التعريفات /٢٨٤/١

(٣) شرح الرشيدية / للشيخ عبد الرشيد الجونغوري الهندي : ٣٠– ٣١/ مكتبة الإيمان

(٤)–متن حاشية الصبان، ١٣.

(٥)– نفس المصدر ١٣.

(٦)– نفس المصدر ١٤.

(٧)– التقريب: ابن حزم ٣٢٢.

وهذا يجب أن يقرن المانع امتناعه بالاستدلال ولكن لا يمنع من استناده إلى سند يتقوى به "منع مقدمة من مقدماته (المطلوب) أو كل واحدة منها على التعيين، فذلك يسمى منعا مجردا، أو مناقضة، ونقضه نقض تفصيلي، ولا يحتاج فى ذلك إلى شاهد، وإن ذكر شيء يتقوى به سمي سندا للمنع"[1].

وعليه فالمنع عبارة عن طلب للدليل، ويكون بالاعتراض على مقدمة الدليل، وبعبارة المنع:

-امنع هذه الدعوى، - هذه الدعوى ممنوعة - لا أسلم لك هذه الدعوى

-هذه الدعوى غير مسلم بها، - ممنوع غير مسلمة"[2].

وقد يكون الاعتراض على مقدمات الدليل مجردا أو بسند. والسند هو"ما يذكره المانع معتقدا أنه يستلزم نقيض الدعوى التى يوجه إليها المنع"[3]، وينقسم إلى نوعين: نوع يؤخذ فيه بعين الاعتبار الصورة التى يرد عليها، ونوع يؤخذ فيه بعين الاعتبار بنسبة إلى نقيض الدعوى[4].

ومن سؤال المنع فى الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ {١١}﴾{ البقرة/١١} معناه: لا نسلم أنا مفسدونَ؛ لأنّ الإصلاحَ ضدُّ الإفساد، فإذا ادَّعوا الإصلاحَ فقدْ أنكروا الإفساد، ثم مَنعُوا هذه الدعوى بقوله تعالى: ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ وفي هذا دليل جواز المنع منْ طريق المعنى، وفيه الرد على من يقول هذا بغير توجيه لإهمال مراعاة صيغة لفظ المجادل، وهذا يطردُ في كل موضع هذا سبيله، ومثلهُ قولُ الله تعالى عن الكفار حيث قالوا لرسل عيسى ابن مريم: ﴿إنا تطيّرنا بكُم﴾ قالوا لهم: ﴿طائرُكم مَعَكم﴾ أي: شؤمكم منكم لا منّا، ودليلهُ أنّكم جعلتُمُ التذكيرَ بالله وبعبادته علة الشؤم أي: ﴿إنْ ذُكّرتم بَل أنتمْ قومٌ مسرفون﴾[5]

المكابرة: وهي فى الاصطلاح المنازعة بين الخصمين لا لإظهار الصواب، ولا لإلزام الخصم، بل لإظهار الفضل والغلبة والشهرة ونحو ذلك ومن أمثلتها أن

(1)- المزن الماطر: أحمد الساغي ٢٢.

(2)- أصول الحوار: د. طه عبد الرحمن: ٧٦.

(3)- آداب البحث: الشنقيطي، ٢ /: ٤١..

(4)- آداب البحث / الشنقيطي ٢/ ٤٦، ضوابط المعرفة: الميداني ٤٢٠-٤٢٣ بتصرف.

5) استخراج الجدل من القرآن الكريم

يقول المعلل صاحب التصديق. الكل أكبر من الجزء. والواحد نصف الاثنين، والأربعة زوج ، فيقول السائل : أمنع هذه الدعاوي أو واحدة منها، فإن قال ذلك فهو مكابرة. والمكابرة وظيفة مردودة لا تسمع ولا تقبل كما لا يخفى، ومن المكابرة منع التصديق النظري الذى أقام المعلل عليه دليلاً صحيحاً لا يمكن تطرق الخلل إليه بوجه من الوجوه [1].

النَّقضُ والمناقضة:

النقض فى اللغة "الكسر"[2] وفى اصطلاح أهل هذا الفن هو" إِبْطالُ الدَّليلِ بعْد تمامه مُتمَسِّكًا بشاهد يَدُلُّ عَلى عَدَم اسْتحْقاقه للمسْتدْلال به ، وهُوَ اسْتلْزَامُهُ فَسادًا مَا ، وفُصِّل بدَعْوَى التَّخلُّف ، أوْ لُزُوم مَحَال، ويُسمَّى " نَقْضًا إِجْمَاليًّا أَيْضًا " . [3]

فالنقض هو ادعاء السائل بطلان دليل المعلل، مع إقامته الدليل على دعواه بطلانه، وذلك إما بتخلف المدلول عن الدليل، بمعنى أن الدليل يكون موجوداً والمدلول ليس بموجود، فيكون الدليل جارياً على مدعى آخر غير المدعى الذى أقامه عليه المعلل، أو بسبب استلزامه المحال، كالدور السبقى لدليل المعلل، والتسلسل المحال، أو يكون بإثبات مصداقية دليل المعلل على مدعى آخر غير الذى برهن به المعلل.ونحو ذلك. علما أن النقض لا يقبل إلا مقترناً بشاهد، والمراد بالشاهد المذكور هو الدليل على صحة النقض فإن لم يذكر السائل مع النقيض الشاهد المذكور لم يقبل منه[4].

وبطلان دليل المعلل لا يكون إلا بشاهد من السائل ولا يكون إلا انقضا للدليل بخلاف المنع فإنه يكون على مقدمات الدليل ولا يستوجب شاهد المنع ولعل هذا راجع إلى أن المعلل على هذه المرحلة يكون قد استشهد على دعواه، فلا يقع الغضب[5].

وقسم علماء البحث هذا النوع من الاعتراض إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: النقض الحقيقي:وهو عبارة عن التزام السائل بذكر جميع عناصر دليل المعلل من غير زيادة ولا نقصان ثم يشرع في نقضها وبيان وهنها.

1) آداب البحث والمناظرة / للشيخ محمد الأمين الشنقيطي/٦٣ ط مطبعة العلم بجدة

(2)- المزن الماطر: أحمد الساغي، ص، ٢١

3) شرح الرشيدية / للشيخ عبد الرشيد الجونفوري الهندي/ ٣٤ مكتبة الإيمان

4) آداب البحث والمناظرة / للشيخ محمد الأمين الشنقيطي/٦٥ ط مطبعة العلم بجدة

(5)- المزن الماطر: أحمد الساغي، ص،٢٢.

القسم الثاني: النقض الحقيقي المكسور: وهو عكس النقض الحقيقي المشهور لأن السائل فيه لا يلتزم إيراد عناصر الاستدلال بل يحذف منها بعض الأجزاء التي تمكنه من الاعتراض على المعلل، وهذا الاعتراض لا ينبغي أن يتكئ عليه السائل في المناظرة لأنه غير معتبر. ومن سؤال النقض في آيات الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {١٨٣}﴾{آل عمران/١٨٣} معناه: العلة التي توجب عندكم الإيمان بالرسل قد وُجِدَت فلم قتلتموهم؟! فدل على أن التعليل بما ذكرتم غير صحيح. وهذا النقض وارد على معنى كلامهم، فدل على جواز إيراد ما يهدم كلام الخصم على أي وجه كان. ومن صور النقض قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا ﴾ { البقرة/١٧٠} النقض في قوله: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾{ البقرة/ ١٧٠}.

ومن صور النقض أيضاً في قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ {١١٣}﴾ { التوبة/١١٣} النقض بإبراهيم عليه السلام؛ لأنه استغفر لأبيه وهو مشرك في قوله تعالى: ﴿سأستغفرُ لكَ ربي إنهُ كانَ بي حفياً ﴾ { مريم/٤٧} فكان الجواب: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ {١١٤}﴾{التوبة/١١٤} ومن صور النقض قوله تعالى: ﴿ فلمَّا جاءَهُمُ الحقُّ مِنْ عندنَا قالُوا لولا أُوتيَ مثلَ ما أُوتيَ موسَى[1] أوَ لم يكفُروا بمَا أُوتيَ مُوسَى مِنْ قبلُ قالُوا ساحرانِ تظاهَرَا وقَالُوا إنَّا بكُلٍّ كَافِرُونَ﴾{ القصص/٤٨}.

والمُعارَضَةُ: لغة: المقابلة على سبيل الممانعة، وفي الاصطلاح هي" إقَامَةُ الدَّليل عَلى خِلافِ مَا أقَامَ الدَّليل عَلَيْه الخَصْمُ فإن اتَّحَدَ دَليلاهُما فمُعارَضَةٌ بالمِثلِ، وإلاَّ فمُعارَضَةٌ بالغَيْر. "[2]

---

[1]) استخراج الجدل من القرآن الكريم

[2]) شرح الرشيدية / للشيخ عبد الرشيد الجونغوري الهندي/ مكتبة الإيمان

أو هي "مقابلة دليله بدليل يباينه إنتاجا"[1]. وتكون المعارضة بإثبات نقيض المدعى أو نفيه، كما تكون بإنتاج دليل يساوي نقيض الدعوى أو إثبات الأخص من النقيض[2].

وعلى ذلك فالمعارضة: هي إقامة الخصم الدليل المنتج نقيض الدعوى التي استدل عليها خصمه وأثبتها بدليله، أو المنتج ما يساوي نقيضها، أو ما هو أخص من نقيضها، لأن إقامته الدليل المنتج أحد الأمور الثلاثة يلزمه إبطال دعوى خصمه، لأنه إن ثبت نقيضها أو مساوي نقيضها أو أخص من نقيضها بدليل المعارض فقد تحقق بطلانها، لاستحالة اجتماع النقيضين، واستحالة اجتماع الشيء ومساوي نقيضه، واستحالة اجتماع الشيء والأخص من نقيضه .[3]

والمعارضة تتفق مع المنع في منع النتيجة التي يريد تقريرها المستدل، لكن المنع لا تحتاج معه إلى ابتداء دليل؛ لأن المعترض لمقدمة له أن يقول : أنا لا أوافقك عليها ولا أسلمها لك أما المعارض فإنه يريد إثبات خلاف ما يريد إثباته مناظره المستدل فلا بد له من ابتداء دليل .

"وعلى هذا فإذا عارضه المعترض بما هو دليل عند المستند وحده فهو في المعنى مثل النقض بمذهب المستند ، فإن النقض معارضة في الدليل ، كما أن المعارضة المطلقة معارضة في الحكم" [4].

يقول عبد الوهاب بن حسين: والتحقيق أن في كل معارضة معنى النقض ، لأن المعارضة بمنزلة يقال دليله هذا باطل ، لأنه جار في مدعاك مع تخلف الحكم عنه ، لأن عندي دليلاً ينفي مدعاك". [5]

تقسيمات المعارضة:

للمعارضة تقسيمان بحسب الاعتبارات الحاصلة لها: فهي تنقسم باعتبار ما توجه إليه إلى قسمين:

الأول: المعارضة في الدليل.

وتسمى المعارضة في الحكم، أو معارضة في الدليل، ويعرفها البعض بأنها: إقامة الدليل على خلاف الحكم المدعى بعد إقامة الدليل عليه من الخصم [6]. ويقول عنها بعض العلماء: هي

---

[1]) حاشية الصبان على شرح آداب البحث ص :١٨.

[2]) أصول الحوار : د. طه عبد الرحمن/ ٧٩.

[3]) المصدر السابق /٧١

[4]) المسودة في أصول الفقه / ٣٨٦.

[5]) شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة/ ٩٨.

[6]) آداب المسامرة في البحث والمناظرة تأليف وجمع محمد على سلامة ، دار الطباعة الحديثة ١٩٣٥ ص ٤٩ .

المعارضة التي يوجهها السائل إلى أصل الدعوى التي أقام المعلل الدليل عليها[١].

الثاني: المعارضة في العلة.

وتسمى المعارضة في المقدمة: وهي إقامة الدليل على خلاف مقدمة من مقدمات دليل الخصم، بعد إقامته الدليل عليها[٢].

ويقول صاحب "ضوابط المعرفة": المعارضة في العلة هي التي يوجهها السائل إلى إحدى مقدمات دليل الدعوى الأصلية – بشرط أن يكون المعلل قد أقام الدليل عليها – فإن لم يكن قد أقام الدليل عليها – فليس للسائل أن يوجه إليها غير المنع ، – وإذا وجه السائل المعارضة قبل أن يقيم المعلل الدليل فتكون معارضته من قبيل – الغصب ، وهي وظيفة غير مقبولة عند جمهور أهل البحث والمناظرة، ومثال ذلك قول المعلل : هذا الكون حادث [أصل الدعوى] .

وجاء بالدليل فقال : لأن الكون متغير، وكل متغير حادث [دليل ينتج المدعى] .

ثم استدل المعلل على المقدمة الصغرى (الكون متغير) بقوله: لأنه لا يخلو من الأكوان الأربعة: الحركة والسكون والاجتماع والافتراق، وكل ما كان كذلك فهو متغير.

السائل : هذا الكون ليس بمتغير في مادته : لأنه لا يفنى فيه شيء ، ولا يخلق فيه شيء وإنما هي تحاويل، وكل ما كان كذلك فهو قديم [معارضة بدعوى أخرى هي نقيض صغرى دليل المعلل وهي مقرونة بالدليل عليها فهي إذن معارضة في العلة] .

وللمعلل بعد ذلك أن يمنع صغرى دليل السائل أو كبراه وفق أصول المناظرة] [٣] .

وتنقسم المعارضة بحسب مقارنة دليل السائل بدليل المعلل إلى ثلاثة أقسام:

١- المعارضة على سبيل القلب

٢- المعارضة بالمثل ٣- المعارضة بالغير

وتتحدد هذه الأشكال تبعا للدليل المعارض:

-دليل المعارضة إن كان عين دليل المعلل سمي قلبا.

-دليل المعارضة إن كانت صورته كصورته سمي معارضة بالمثل.

(١) ضوابط المعرفة للشيخ عبد الرحمن حسن الميداني ، طبعة دار القلم دمشق بيروت ١٩٧٥ص ٤٣٥.

(٢) آداب المسامرة ، /٤٩ .

(٣) ضوابط المعرفة للشيخ عبد الرحمن الميداني.

-دليل المعارض إن كانت صورته ومادته ليست كصورته سمي معارضة بالغير. والملاحظ أن هذه الصور الاعتراضية ترد على الدليل كما ترد على لعبة ويشترط في إيرادها على العلة أن تكون بعد إقامة دليل على مقدمة المعلل "[١].

المعارضة على سبيل القلب

وهي معارضة دليل المعلل بعين دليلة ، وإيضاحه أن يقول له دليلك هذا ينتج نقيض دعواك فهو حجة عليك لا لك، وسمي معارضة بالقلب لأنه قلب عليه دليله بعينيه حجة عليه لا له.

مثال : مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه في تخويفهم له بآلهتهم ، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾{الأنعام/ ٨١ }

قال ابن القيم رحمه الله [٢]: وهذا من أحسن قلب الحجة، وجعل حجة المبطل بعينها دالة على فساد قوله ، وبطلان مذهبه ، فإنهم خوفوه بآلهتهم التي لم يترل الله عليهم سلطاناً بعبادتها ، وقد بين بطلان إلهيتها ومضرة عبادتها ، ومع هذا فلا تخافون شرككم بالله وعبادتكم مع آلهة أخرى ؟ فأي الفريقين أحق بالأمن وأولى أن يلحقه الخوف ؟ فريق الموحدين ؟أم فريق المشركين؟! ﻫ .

المعارضة بالمثل .

المعارضة بالمثل ليست استدلاً ولا معارضة بعين دليل الخصم فذلك هو القلب ، وإنما المراد بالمثلية هو مساواة الخصم في مقصده على نقيض مراده ، وتكون في مواضع دلالة الخصم على نقيض ما يدعيه [٣].قال أبو المعالي الجويني: المعارضة بالمثل معارضة دعوى المستد ل بنقيضها [٤].

إذاً فكل مناقضة معارضة ، وإن كان ليس كل معارضة مناقضة" [٥] .

وتطلق المثلية ويراد ها المثل من حيث قوة الدليل أو نوعه وجنسه من كتاب أو سنة أو قياس واستصحاب حال أو اثبات أو نفي أو غيره .

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي :

" أما المعارضة بالمثل فضابطها أن يتحد دليل المعارضة مع دليل المعلل في الصورة مع الاختلاف في المادة ، وذلك بأن يكون الدليلان من شكل واحد [٦] .

(١) شرح الولدية ص ٩٧.

(٢) بدائع التفسير (٢ / ١٥٣) .

(٣) الكافية في الجدل ص ٤١٢.

(٤) الكافية في الجدل ص٤١٨.

(٥) الكافية في الجدل ص ٤١٨.

(٦) آداب البحث والمناظرة (٢ / ٧٦)

المعارضة بالغير: وهي أن يكون دليل المستدل مخالفا لدليل المعارض مادة وصورة[1].

الجواب على الاعتراض:

هو المرحلة الأخيرة التي تقطعها المناظرة والتي يصير فيها المستدل معترضا بنفس وظائف السائل[2] مع استغلاله لكل الإمكانات والطرق التي يتمكن بها من دفع اعتراض السائل أي:

-إذا كان السائل مانعا فعلى المستدل دفع منعه وذلك بتوضيح مراده من الدعوى أو بإقامة دليل على عين الدعوى المعترض عليها أو أخرى تساويها أو إبطال سندها[3].

-إذا كان السائل مانعا فعلى المستدل دفع نقضه وذلك ببيان عد تخلف الدعوى عن الدليل أو ببيان عدم استلزامها للمحال والتسلسل، وله كذاك الحق في دفع النقض ببناء دليل آخر[4].

(1)- اصول الحوار : د. طه عبد الرحمن ٧٩.

(2)-انظر اصول الحوار: د.طه عبد الرحمن ٧٩.

ومجموع المتون الكبرى ٥٤٩-٥٥٠.

(3)-أصول الحوار : د. طه عبد الرحمن ٧٩.

(4)-أصول الحوار : د.طه عبد الرحمن ٧٨. انظر كذلك : آداب البحث والمناظرة : الشنقيطي، ١/، ٥٦-٥٧، وانظر ضوابط المعرفة : الميداني ٤٤٤.

- إذا كان السائل معارضا فعلى المستدل دفع معارضته، وذلك بطالب المعلل من السائل إقامة الدليل على مقدمته التي بنى عليها دليله المنافي لدليل المعلل أو يعترض المعلل على دليل السائل الذي اعترض به على المعلل، إما بعدم صلاحية دليله وإما باستلزامه للمحال أو يحاول المعلل إثبات دعواه بدليل آخر غير الذي اعتمده لدعواه المنقوضة"[5].

-إذا اعترض السائل بدعوى عدم استدلال المعلل بالدليل المستدل به، فللمعلل بيان أن ذهب إليه السائل ليس كما اعتقد المعلل.

-إذا اعترض السائل بدعوى القول بالموجب والمنازعة في المقتضى، فللمعلل بيان دعوى الإجمال والاحتمال والخفاء... واستبعادها مع إثباته للنص، أو لمعنى أظهر......

-إذا اعترض السائل بدعوى المشاركة، فللمعلل استبعاد هذا الاعتراض وذلك بقصر معناه الذي ذهب إليه على معنى واحد أو احتمال واحد.

-إذا اعترض السائل بدعوى اختلاف القراءة، فللمعلل إثبات ادعائه

(5) هذه الاعتراضات تخص المناظرة العقلية. انظر آداب البحث: الشنقيطي، القسم ١/ ٦٦.

وذلك عن طريق الجمع بين قراءته وقراءة خصمه أو بمعارضتها بما هو أقوى منها.

-إذا اعترض السائل بدعوى استبعاد النسخ، فللمعلل إثباته وذلك اعتمادا إلى النقل الصريح أو التاريخ.

-إذا اعترض السائل بدعوى التأويل فللمعلل حق استبعاد تأويل خصمه مع إقامة دليل على تأويله (سواء في الاشتراك أو في التخصيص أو في التقييد...)

-إذا كان اعتراض لسائل بالمعارضة، فللمعلل استبعاد معارضته وذلك بادعائه أن دليل اعتراضه ليس مثل دليله في القوى ولا هو أقوى منه[1].

٨. الانتقال في الاستدلال:وهو أن ينتقل المستدل من دليل إلى دليل غير الذي كان آخذاً فيه، ومن مثال ؛ إلى مثال لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الدليل أو المثال الأول ، أو عند فهمه وجه الدلالة ولكنه يقصد المغالطة ، فيأتي بدليل أو مثال آخر لا يجد معه الخصم مفرًا من التسليم أو الانقطاع، كما جاء هذا فيما حكاه الله تعالى عن مناظرة إبراهيم عليه السلام للنمرود لما قال له:﴿ ربي الذي يحيي ويميت﴾{البقرة ٢٥٨} فقال النمرود: أنا احيي و أميت، ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ومن لا يجب عليه القتل فقتله ، فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الإحياء و الإماتة أو علم بذلك وغالط بهذا الفعل ، فانتقل عليه السلام إلى استدلال لا يجد له النمرود وجهاً يتخلص به منه فقال: ﴿ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾{البقرة ٢٥٨}فانقطع الجبار وبهت ولم يمكنه أن يقول : أنا آتي بها من المشرق لأن من هو أسن منه يكذبه.

وفى ذلك يقول:الحرالي"ولما سلك الطاغية مسلك التلبيس والتمويه على الرعاع، وكان بطلان جوابه من الجلاء والظهور بحيث لا يخفى على أحد ، والتصدي لابطاله من قبيل السعي في تحصيل الحاصل ، انتقل إبراهيم عليه السلام إرسالاً لعنان المناظرة معه ، إلى حجة أخرى لا تجري فيها المغالطة ولا يتيسر لطاغية أن يخرج عنها بمخرج مكابرة أو مشاغبة أو تلبيس على العوام[2].هذا بخلاف " ومن انتقل من

(1)-انظر كتاب الحجاج، ص : ٤٢ وما بعدها، والمعونة، ص : ١٤٥ وما بعدها.

٢) محاسن التأويل (٣ / ٣٦٦٨)

دليل غامض إلى واضح فذلك طلب للبيان ، وليس انقطاعاً له[١].

وكذلك يكون الانتقال بعد الفراغ من المسألة المتناظر فيها إلى مسألة أخرى فهذا النوع مباح المقصود منه إرسال العنان للمناظرة والمذاكرة في علوم ومسائل شتى .

أما إذا كان قصد الانتقال هو الالتفاف على ما لزم المناظرة والخروج من عهدة ما تقرر، فهذا مذموم، وهو من الحيل لإيهام عدم الانقطاع في المناظرة وهو ما يسمى في الاصطلاح بـ " الحيدة " . قال إمام الحرمين الجويني:ومنها أن يظهر انتقالة على أمر ظاهر يعلم انقطاعه عن ذلك ، إلى غير مما يكون الانتقال إليه عجزاً أو تركاً لما كانا فيه" [٢] .

(١) بواسطة أصول الفقه لابن مفلح (٣ / ١٤٢٧)

(٢) الكافية في الجدل / ٥٤٥.

المبحث الثاني
نماذج تطبيقه من المناظرات فى القرآن الكريم

لا ريب أن المتأمل فى الكتاب الحكيم يجد أن المناظرة كما وردت فى آياته تعتبر أنموذجاً يحتذي، وهي تعتبر صورة صادقة ودقيقة للتطبيق العملي والفعلي لعلم المناظرة، فهو يخاطب الناس بكل الدلائل العقلية، البرهانية ، والجدلية والخطابية، وذلك لكي يلبي كل حاجات الناس العقلية، ومواهبهم وقدراتهم، فقد قص الله لنا فى قصص الأنبياء و المرسلين كثيراً من المناظرات التى وقعت بين الأنبياء والمرسلين وبين أقوامهم أو بين المعارضين لهم من المعاندين والطغاة. حتى تكون نبراساً ومنهجاً في حياة الناس ، ليسلكوا الطريق المستقيم ، ويعرفوا المنهجَ الموصلَ إلى رب العالمين ، فتسلمَ لهم أمورُ دينِهم ودنياهم .

ونحن فى هذا البحث نذكر بعض النماذج التطبيقية التى قدمها القرآن الكريم- بالإضافة لما سبق- فى دنيا الناس من خلال مناظرات الأنبياء مع أقوامهم والتى جاءت على صور شتى، تبين لنا أسلوب المناظرة والجدال الحضاري، الذى لا يتم التواصل إلا به، والرد الرائع ، والأدب الجم ، والحجة القوية، والوصول

إلى إحقاق الحق، وإبطال الباطل ،ذلك أن المتأمل فيما أخبرنا الله تعالى به من قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، يجد أنها قد ركزت جل اهتمامها على مناظرة الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وعلى وجه الخصوص آدب المناظرة وأسلوبها ومنهجها وأصولها، حيث إن مناظراتهم عليهم السلام مع أقوامهم قد بدأت منذ أن سطع النبي أو الرسول بأمر ربه، فقد كانت الأجيال تتوارث المعارف بالتعايش والحوار الشفهي،ثم جاءت رسالة الأنبياء فكانت نقطة تحول مهمة فى مسألة التواصل والتفاعل مع الآخر، فقد سلكوا مع المخالفين المنهج القرآني الإلهي الذى قرره الباري فى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ {النحل من الاية: ١٢٥ }

ولقد اتبع الرسل هذا المنهج وتلك الطريقة القرآنية وهم يردون كيد الكائدين، ويكشفون أخطاءهم ويجلون ما بأنفسهم من آراء ما أنزل الله بها من سلطان،ومن ثم فقد رسم الرسل عليهم السلام للمؤمنين من خلال مناظراتهم مع أقوامهم الأساليب التى يستطيعون بفضلها الدعوة إلى الله تعالى، وتقديم البرهان الساطع، والحجة البالغة على صدق رسالتهم، والدفاع عن الحق، وإفحام المكابرين .

ومن هنا فإن مناظرات الأنبياء مع أقوامهم فى القرآن الكريم تعد ركيزة أساسية من ركائز القرآن الكريم، وليس أمراً عرضياً، وذلك لعظمة ما يترتب عليه من نتائج وهو الوصول إلى الحقيقة وهو أعلى الأهداف، التى ينشدها هذا العلم الهادف، من أجل تحقيق الحق والصلاح والخير والسعادة للفرد والمجتمع.

ويستطيع الباحث أن يتبين هذا الأمر فيما عرضه القرآن الكريم من مناظرات، والذى تتضح معالمه بالرجوع إلى آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية المطهرة، وعهد النبي عليه الصلاة والسلام، وما يشهد به تاريخ الإسلام فى معاملته المسلمين مع من يخالفونهم من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم حتى يتبين له معرفة الأسلوب القويم، والمنهج المستقيم الذى يتسم بالاعتدال والاستعلاء على الأهواء البشرية، الذى كان ينتهجه رسل الله وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام، في تبليغ الدعوة إلى الأفراد والجماعات والأمم والشعوب، والأسلوب الذى علمه القرآن الكريم للرسول ﷺ فى هذا المجال كما مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى

١٢٢٤ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ { آل عمران، آية ٦٤}، وقوله عز من قائل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {٨}﴾{الممتحنة: ٨}.[١] ومن ثم فقد كان الإسلام يدعو إلى مناظرة أهل الكتاب منذ أن أشرقت الأرض بنور ربها كما هو معلوم من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. فقد وضع الإسلام أسساً وقواعد عديدة لحسن التعامل مع أهل الديانات السماوية الأخرى، فقال تعالى فى حق أهل الكتاب﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾.

وجه الوصاية بالحسنى فى مجادلة أهل الكتاب أن أهل الكتاب مؤمنون بالله غير مشركين به، فهم متأهلون لقبول الحجة غير مظنون بهم المكابرة، ولأن آداب دينهم وكتابهم أكسبتهم معرفة طريق المجادلة؛ فينبغى الاقتصار فى مجادلتهم على بيان الحجة دون إغلاظ، حذرا من تنفيرهم، بخلاف المشركين، فقد ظهر من تصلبهم وصلفهم وجلافتهم ماأيأس من إقناعهم بالحجة النظرية، وتعين أن يعاملوا بالغلظة وأن يبالغ فى تهجين دينهم، وتفظيع طريقتهم؛ لأن ذلك أقرب نجوعا لهم...

وهكذا ينبغي أن يكون الحال فى ابتداء مجادلة أهل الكتاب، وبقدر ما يسمح به رجاء الاهتداء من طريق اللين؛ فإن هم قابلوا الحسنى بضدها انتقل الحكم إلى الاستثناء الذى فى قوله:﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ و ﴿الذين ظلموا منهم﴾ هم الذين كابروا وأظهروا العداء للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين، وأبوا أن يتلقوا الدعوة، فهؤلاء ظلموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين حسدا وبغضا، على أن جاء الإسلام بنسخ شريعتهم، وجعلوا يكيدون للنبي صلى الله عليه وسلم، ونشأ منهم المنافقون وكل هذا ظلم واعتداء، وقد كان اليهود قبل هجرة المسلمين إلى المدينة مسالمين وكانوا يقولون : إن محمدا رسول الأمين كما قال ابن صياد لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم " أتشهد أني رسول الله ؟ فقال : أشهد أنك رسول الأمين ".فلما جاء المدينة دعاهم في أول يوم قدم فيه وهو اليوم الذى أسلم فيه عبد الله بن سلام فأخذوا من يومئذ يتنكرون للإسلام"[١]

ونذكر فيما يلى بعض النماذج للمناظرات القرآنية:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ {١٨} ﴾{المائدة: ١٨}.

فهذه مناظرة بين اليهود والنصارى من جانب والله ورسوله من جانب آخر، يرد فيها على مدعاهم– بالمنع المقرون بالسند القطعي – الذى يتضمن لازم نقيض المدعى .

وحوار المناظرة كما يلي :

المعلل : اليهود والنصارى قالوا : (نحن أبناء الله وأحباؤه)[مدعى الخصم]. **السائل** : الرسول والمسلمون : ممنوع : فلم يعذبكم بذنوبكم إذن ؟ وفي هذا إثبات لازم نقيض ١٢٢٥ مدعاهم – حيث أنه ثبت انه يعذبهم بذنوبهم وبالتالي فليسوا أبناءه وأحباءه كما زعموا].

الثاني قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {١٧}﴾.{المائدة آية ١٧}.

{ وفي هذه المناظرة منع دعوى النصارى ومطالبهم بالدليل عليها مع بيان سند المنع].

وحوار المناظرة التفصيلي كما يلي:

المعلل النصراني: إن الله هو المسيح ا بن مريم [مدعى] .

السائل الرسول والمسلمون: هذه الدعوى ممنوعة، فمن يملك من الله شيئاً إن أراد الله ان يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ؟

[وهذا السند يمكن اعتباره من قبيل السند الجلي وصورته " قد تصح الدعوى لو لم يكن المسيح عرضة للهلاك كسائر من فى الأرض " ويمكن اعتباره من قبيل السند الجوازي وتكون صورته " لم

---

١) أدب الاختلاف فى الإسلام /١٧

١) التحرير والتنوير / ١/ ٢٣٠٤

لا يجوز عقلاً أن يكون المسيح عيسى عرضة للهلاك كسائر من فى الارض ؟

ويمكن اعتباره أيضا من قبيل السند القطعي فيكون بمعنى " كيف يكون هو الله وهو عرضة للهلاك كسائر من فى الأرض " ؟] .

الثالث : قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ {٩١} ﴾ { الأنعام الآية ٩١ }.

يُعلم الله رسوله فى هذه الآيه كيف يناظر اليهود فى دعواهم ﴿ ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ .

وتفصيل المناظرة وحوارها كما يلي :

المعلل اليهودي : لرفض رسالة محمد ﷺ ولرفض القرآن الذى أنزله الله عليه ﴿ ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ . [مدعى اليهود] .

[ويلزم من صحة هذا المدعى إثبات أن القرآن ليس منزلا من عند الله] .

السائل: الرسول صلوات الله عليه والمسلمون: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس ؟

[وفي هذا جواب يتضمن منعاً لدعوى المعلل مقرونا بالسند القطعي] .

وتفصيله كما يلي :

كيف تقولون ما أنزل الله على بشر من شيء ؟ وقد أنزل الله الكتاب على موسى تعتقدون أنتم به – وتجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ، وقد تعلمتم من هذا الكتاب ما لم تعلموا من قبل أنتم ولا آباؤكم ؟ فاعتقادكم بكتاب موسى الذى أنزل عليه من ربه – وموسى بشر – ينقض دعواكم القائلة أن الله لم ينزل على بشر شيئاً

وهذا منع للدعوى ونقض لها باعتبار أن صاحبها يعتقد بخلافها – لذالك قال الله لرسوله : ﴿ قل الله ثم زرهم في خوضهم يلعبون ﴾[1] .

مناظرات الأنبياء عليهم السلام

وهي مناظرات أهل الحق أهل الباطل، ومخاصمتهم بالحجج والبراهين التى تقيم عليهم الحجة، وتظهر الحق، وتزيل الشبهة، وتجعل عقول أهل الباطل مضطرة للتسليم أو الانقطاع عن الجدال،

[1] انظر أصول البحث والمناظرة وطرقها /١٣٧

لنصرة باطلهم الذى دحضه برهان الحق فجعله زاهقا. فكان الجدال الذي تقام به الحجة على الناس لإخضاع عقولهم للحق، من وسائل الأنبياء وأساليبهم في دعوتهم قومهم إلى الحق الذي بعثهم الله تعالى به إليهم. وفيما يلي بعض النماذج:

١- مناظرة نوح عليه السلام مع قومه:

كان نبي الله نوح عليه السلام كثيرَ المحاجة والمجادلة لقومه مدة رسالته التى استغرقت ألف سنة إلا خمسين عاما، حتى إن قومه الذين أصروا على التمسك بالباطل ونبذ الحق الذي جاءهم به، برموا من جداله وحججه، وطلبوا منه أن يأتيهم بما كان يتوعدهم به من عذاب الله، بدلا من الجدال والمحاجة بالبراهين، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {٣٢} ﴾ {هود: ٣٢} فلو كان قوم نوح عندهم مقدرة على الاستمرار في جداله عليه السلام بما يمكن أن يسمى حجة أو برهانا، لما اضطروا إلى مواجهته بهذا الأسلوب الدال على أن صدورهم قد ضاقت بجداله ومحاجته.

وقد حكى الله تعالى هذه المناظرة فى سورة هود بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {٢٥} أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ {٢٦} فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ من قومه مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ {٢٧} قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ {٢٨} وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ {٢٩} وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ {٣٠} وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ {٣١} قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {٣٢} قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ {٣٣} وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٣٤} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ

يدي حتى استعمله فى جلب المنافع الدنيوية لمن آمن معي " (١).

وقد رأينا فى هذه المجادلات كيف أبطل نوح شبهاتهم بالحجة والبرهان والمنطق السليم، ولكنهم قوم عميت بصائرهم عن معرفة الحق، وركبوا طغيانهم فى المعاندة والمكابرة والاستهزاء، بعد أن سلك نوح معهم أرقى الأساليب، وذكرهم بآيات الله الآفاقية والنفسية، وما أنعم الله به عليهم من الخيرات المادية فلم يستجيبوا له بل ﴿جعلوا أصابعهم في أذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً . ومكروا مكراً كباراً وقالو لا تزرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغو ويعوق ونسراً ...الأية﴾ وحين وصل الأمر إلى ذروته واستحكم العناد ولم يعد في القوم أمل لفتح قلوبهم لنور الحق والايمان قال نوح ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً {٢٦} إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً {٢٧}﴾ { نوح الآية : ٢٦- ٢٧ }(٢).

٢- مناظرة إبراهيم عليه السلام مع أبيه

لقد عني إبراهيم وإخوانه من الأنبياء بالتوحيد وإيضاحه، والاستدلال له أيما عناية، وسلك فى سبيل بيان الحق، وتزييف الباطل كل وسيلة ، ومنها هذه المناظرة التى قامت بينه وبين قومه لبيان حقيقة ما هم عليه من الضلال. فأنكر على أبيه اتخاذ الأصنام آلهة ، ولما أشرك قومه معه شدد في إعلان النكير عليهم، وبين أن ما هم فيه ما هو إلا ضلال بَيِّن عن نفسه ، وذلك ليثير عواطفهم ، ويدفعهم إلى التفكير الجاد العميق فيما هم فيه ، وكان إبراهيم قد بصره الله بالدلائل الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى ، فأراه آياته في ملكوته ، ليعلم حقيقة التوحيد ، أو ليزداد علما به ، ويقينا إلى يقينه. وأرشده إلى طريقة الاستدلال بها على المراد من العباد.

وفى ذلك يقول ابن القيم فى مناظرات إبراهيم عليه السلام: (وهو الذي فتح للأمة باب مناظرة المشركين وأهل الباطل، وكسر حججهم، وقد ذكر الله مناظرته في القرآن مع إمام المعطلين،

١) انظر أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها للاستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٣٧٧- ٣٧٨.

٢) انظر مناهج الجدل في القران الكريم /د. زاهر عوض الألمعي ١٥٥ / ١٥٦. ط الثانية ١٤٠٠هـ واستخراج الجدل من القرآن الكريم/ ١٩.

ومناظرته مع قومه المشركين، وكسر حجج الطائفتين بأحسن مناظرة، وأقربها إلى الفهم وحصول العلم"(١) وسنذكر هنا بعض مناظرات نبي الله إبراهيم- عليه السلام- كما جاء فى القرآن الكريم: -

الأولى: مناظرته مع أبية. يقول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾{مريم الآيات ٤٠-٤٨}.

يستفاد من هذا المناظرة عدة أمور: منها أن مناظرة إبراهيم عليه السلام مع أبيه ، بالطريقة التي سلكها فى محاولة إقناع أبيه ، حتى يرجع إلى الحق والصواب .. ذلك أنه حاكمه إلى مقدمات مسلمة ، وأدلة يقر بها ولا يستطيع دفعها : ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾.

فهل يستطيع آزر أن يدحض هذه المقدمات بإثبات السمع والبصر والقدرة لما يعبده وقومه من أصنام ؟؟ إنه لا يسعه – أمام استحالة ذلك – إلا أن يقر بالكلام الفصل الذى صدر على لسان ابنه إبراهيم عليه السلام .. وإقراره به يقوده – لو ترك المعاندة والمكابرة جانباً – إلى الإعراض عن عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئاً. فنعم الطريقة هي فى محاورة المخالف وإقناعه ،إذا أُحسنَ توظيفها وتنزيلها ، بحيث تكون مقدمات الدعوى مما تُسلِّم به العقول وتقبله ، لا أن تكون مسلمة عند صاحبها فحسب .

كما يستفاد من هذه المناظرة أيضًا ضرورة التركيز فى مناظرة الضالين وإرشاد الغافلين على الهدف من خلق الإنسان فى هذا الوجود، والمقصد الأول من بعثة الرسل والأنبياء؛ وهو عبادة الله

١) الموافقات في أصول الفقه ، للشاطبي ٢٥/١ الناشر : دار المعرفة – بيروت/تحقيق : عبد الله دراز

تعالى. كما هو واضح من خلال ما استهل إبراهيم عليه السلام به المناظرة مع أبيه ﴿ إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾ وهو ما نجده بقليل من التأمل مطرداً فى دعوة الرسل جميعاً ؛ قال الله تعالى فى حق نبيه نوح عليه السلام : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {٢٥} أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ {٢٦}﴾ {هود ٢٥-٢٦} قال تعالى بشأن رسوله هود عليه السلام : ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ {٥٠} ﴾ {هود/ ٥٠} وقال تعالى فى شأن صالح عليه السلام:﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً * قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾{هود/ ٦} وقال تعالى عن رسوله شعيب عليه السلام : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ {٨٤} ﴾ {هود/ ٨٤} . وهذه مسألة أساسية وجوهرية ينبغي أن ينتبه إليها الدعاة فى مناظراتهم الدعوية ؛ إذ الصلاح كل الصلاح يقوم على عبادة الله تعالى ، والفساد كل الفساد ينشأ عن تعطيل هذه العبادة .

كما يستفاد منها أيضا:أن المرتكز الأساس الذى ارتكز عليه إبراهيم عليه السلام فى مناظرته مع أبيه ومحاولة إقناعه هو العلم : ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ﴾ أي لابد من ضرورة امتلاك المناظر للشرط العلمي فى المناظرة.

كما أنه يحيلنا على أدب مهم جداً وتقنية رائعة فى المناظرة وهى : تقديم الوسيلة بين يدي الطلب .. فانظر كيف طلب إبراهيم عليه السلام من أبيه أن يتبعه ، وتوسل بين يدي طلبه بالعلم الذي جاءه ، وفى ذلك تحفيز للمناظر من أجل الاستجابة والإذعان للحق فى زمن كاد أن ينتفى فيه كل أشكال المناظرة والحوار.. تأتي هذه الآيات لتطلعنا على إبراهيم عليه السلام وهو يناظر أباه بمحبة وهدوء ورقة وأدب .. ومهما يكن رد فعل الأب شنيعاً وقاسياً يبقى موقف إبراهيم عليه السلام ثابتاً ، وطريقته فى مراجعة أبيه هى طريقته : حب ورأفة وحنان .. هذا درس بطبيعة الحال نستلهم

منه كيف ينبغي أن تكون المناظرة – فى الوقت الحاضر – دون انفعال أو توتر ، بغض النظر عن أهمية الموضوع مناط المناظرة والاختلاف. وهذه التقنية تعتبر قاعدة عامة فى كل أشكال المناظرة " كم من حالات تحاورية تدهورت وفشلت بسبب أن نبرة صوت المتحاوِر كانت حادة عندما ذكر شيئاً يتسم بنوع من الحساسية الخاصة لطرف الحوار الآخر، وهناك حالات أخرى أدت فيها تقلصات وجه المتحدث، وحركة يده إلى ترك انطباع لدى أحد أطراف الحوار بأن أحد المتحاورين يتكلم بأسلوب يشبه أسلوب التهديد والتحدي والعداء والاستهتار بالآخر ، وفى أحيان أخرى كان إيقاع المتحدث سريعاً وحماسياً ، فتصور الطرف الآخر أن المتحدث منفعل ويريد أن يستأثر بالحوار ، هذا فى الوقت الذي ثبت فيه بالدراسة أن هذه الحالات كانت لا إرادية ، ولم يقصد المتحاورون أي عداء أو تهديد أو جفاء أو استهتار أو استئثار بالحديث ، ولكنهم لا يشعرون بوقع ما يقومون به على الآخرين وحجم الانزعاج الذي يتسببون فيه لغيرهم"وهو ما يسميه أهل فن المناظرة بـ " المعاندة " ، وتعني فى اصطلاحهم : "المنازعة بين شخصين لا يفهم أحدهما كلام صاحبه ، وهو يعلم ما فى الكلام نفسه من الفساد ومجانبة الصواب . والمعاندة فى المناظرة عمل لا يجوز " (١).

ويستفاد من هذه المناظرة أيضاً كيف أن أدب إبراهيم عليه السلام مع أبيه ، وهو يحاوره ، لم ينسه أولوية آصرة العقيدة على آصرة القرابة ؛ عندما تمادى أبوه فى الغي والضلال ، وأبى إلا أن يستمر على دين آبائه الباطل ؛ قال:﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴾ وفى سورة الزخرف: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ {٢٦} إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ {٢٧}﴾{الآيتان ٢٦-٢٧}،وفى سورة التوبة: ﴿ فلما تبين له أنه عدوٌ لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواهٌ حليم ﴾{الآية/ ١٤٤}.فالانفتاح على الآخر فى المناظرة، على ضرورته، لا يعني التنازل عن الانتماء العقدي ومقوم الدين والإيمان، بل بالعكس. قال تعالى:﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ

(١) انظر التعاريف : ١/٦٦٤

جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون {٢٢} ﴾ (المجادلة الآية الأخيرة) ، ولنا عبرة في قصة نوح عليه السلام مع ابنه ، ولوط عليه السلام مع زوجته ، وآسيا بنت مزاحم مع زوجها فرعون ، ومحمد عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي لهب ، ومصعب بن عمير مع أمه .. فالمعاملة الكريمة للأقارب ومحاورهم بالتي هي أحسن لا تعني أبداً طاعتهم في معصية الله تعالى حتى وإن كانوا آباء ، قال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {٨}﴾ {العنكبوت / ٨}. وإذا كان الحوار مع الأقارب المعادين للدين، يُشترط فيه ألا يقدِّم المحاور الملتزم تنازلات تضر بدينه وعقيدته، فمن باب أولى أن يكون ذلك مع المخالفين والمعادين للدين من غير الأقارب" (١).

١) أسلوب الحوار في القرآن الكريم : الموضوعات والمناهج والخصائص / إدريس أوهنا . ١٧٩- الرباط : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٥ .

وتأمل رَدَّهُ عليه السلام على أبيه الذي قابل استعطافه ولطفه بالفضاضة ، والغلظة ، والتهديد بالضرب ، والشتم ، بل و الطرد؛ ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً﴾{مريم / ٤٦،٤٧}.

تأمل ردَّه على أبيه ، لقد قال له : ..﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ.. ﴾ ؛ وهو » توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة ، أي : لا أصيبك بمكروه بعد ، ولا أشافهك بما يؤذيك ، و لكن﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ أي استدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك للتوبة ، ويهديك إلى الإيمان (٢)﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً﴾{مريم / ٤٧}

الرفق واللين في الخطاب والمناظرة بمودة واحترام ، ففي حواره عليه السلام مع أبيه ، قال في مقدمة كل كلام (:يَا أَبَتِ) ؛ فأورده مقروناً باللطف والرفق لا العنف"(٣) ، وختم الكلام

٢) إرشاد العقل السليم :٢٠٣/٦

٣) التفسير الكبير :٢٠٦/٢١.

بالقول..(: إني أخاف).. ؛ف » ذكر الخوف للمجاملة و إبراز الاعتناء بأمره، وتدليلاً » على شدة تعلق قلبه بمصالحه"١ ثم إنه عليه السلام لما ودع أباه بقوله: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ ضم إلى ذلك ما دل على أنه وإن بعد عنه فإشفاقه باق عليه كما كان ، وهو قوله؛ كما حكاه القرآن الكريم ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ (٢)

ثم تأمل احترامه عليه السلام للآخر في الحوار ، لقد قال لأبيه في مطلع حوره معه: ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾،ف» لم يصرح بضلاله بل طلب منه العلة التي تدعوه إلى عبادة الأصنام « (٣)

الثانية: مناظرته للملك وهي مما قصَّهُ الله في كتابه تلكم المناظرة التي جرت بين إبراهيم عليه السلام مع النمرود الذي ادعى الألوهية فقد قصها الله لنا لتكون نموذجاً ومنهاجاً كما ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذى

١) المصدر السابق نفسه

٢) التفسير الكبير: ٢٠٨/٢١

٣) تفسير البيضاوي: ١٨/٤ ونظر استخراج الجدل من القرآن الكريم/ ٢٠و مناهج الجدل/ ١٦٤.

حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ... ﴾ فقد قص الله جل وعلا علينا قصة إبراهيم عليه السلام خليل الله في بضع آيات وقع الحديث عنها بين إبراهيم عليه السلام وبين هذا النمرود – بالذال أو بالدال بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ {البقرة:٢٥٨}.وفي هذه الآية يقول الطاهر بن عاشور: "والآية دليل على جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقائد ، والقرآن مملوء بذلك ، وأما ما نهي عنه من الجدل فهو جدال المكابرة والتعصب وترويج الباطل والخطأ" (٤).

والمناظرة تفصيلاً كما يلي :

المعلل : إبراهيم عليه السلام : ربي الذي يحي ويميت [مدع] متضمن الدليل – حيث يريد أن يقول إن الذي يتصف بأنه يحي ويميت هو الذي يصح أن أعبده وأدعوه وألجأ إليه – كما

٤) التحرير والتنوير (٣ / ٣٤) .

يتضمن هذا أن من لوازم الربوبية القدرة على الإحياء والإماتة – فوجود هذا دليل على أن المتصف بها هو الرب .

السائل – وهو النمرود – قال على سبيل المغالطة : [أنا أحي وأميت].

ثم استدل على أدعائه بنقض دعوى إبراهيم بان أحضر رجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر ، وتوهم أنه نقض بالدليل العملي دعوى إبراهيم .

[فكأنه يقول دليلك يا إبراهيم منقوض إذ أنا أتصف بأني أحي وأميت فلزم على ذلك أن أكون ربا . وهذا لا تقول به يا إبراهيم].

المعلل إبراهيم :[لم يشأ أن يدخل معه في جدل يكشف فيه المغالطة التي سمى فيها القتل إماتة ، والعفو إحياء ، وهما غير مرادين في دليل إبراهيم بل انتقل إبراهيم إلى دليل آخر مماثل لا يستطيع النمرود أن يغالط فيه فقال (إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) .

السائل الكافر بالله النمرود : بهت وعجز عن رد دليل إبراهيم لأنه لم يستطع نقضه . وانتهت بذلك المناظرة بهزيمة النمرود ولجأ بعد ذلك إلى طرق العنف المادية كمحاولة إحراق إبراهيم بالنار لإيقافه عن دعوته .

ويستفاد من هذا المناظرة عدة أمور منها:

١ – إذا تأملت هذه المناظرة رأيت الخليل –عليه السلام– يتسم بالصبر والروية وعدم التفاته إلى إبطال مقالة النمرود والاعتراض على معارضته الفاسدة لدليل الإحياء والإماتة في المناظرة ؛ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾{البقرة/ ٢٥٨}؛ حيث لجأ النمرود إلى اللف والدوران والمراوغة، فجاء برجلين قتل أحدهما وأبقى الآخر حياً. زاعماً أن ذلك منه إحياء وإماتة،فلم يلتفت الخليل عليه السلام إلى إبطال ذلك ؛ لأنه لو فعل لدخل في جدل عقيم حول معنى الإحياء والإماتة مع رجل يمارى ويداور ، فيؤول الأمر إلى الشغب وتنقطع المناظرة وينتهي الحوار.

وفى ذلك يقول البيضاوي: " أعرض إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة إلى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على...التمويه دفعاً للمشاغبة، فهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي إلى مثال جلي، من مقدوراته التي يعجز بها غيره، وانتقل إلى حجة أخرى قصداً لقطع المحاج..

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ ، ولعل لنمرود يزعم أنه يقدر أن يفعل كل فعل يفعله الله، فنقضه إبراهيم عليه السلام بذلك، وإنما حمله عليه بطر الملك وحماقته.فبهت الذى كفر: فصار مبهوتا. وقرئ (فبهت) أي فغلب إبراهيم الكافر أي : فبقي مغلوباً لا يجد مقالاً ولا للمسالة جواباً ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ {البقرة / ٢٥٨} الذين ظلموا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية، وقيل: لا يهديهم محجة الاحتجاج، أو سبيل النجاة، أو طريق النجاة يوم القيامة[1] ، وتبدت هذه السمة من سمات الخليل عليه السلام (الصبر والروية مع الآخر) في الفترة الزمنية التي قضاها في الاستدلال على بطلان عبادة الكواكب؛ إذ تدرج عليه السلام في الاستدلال: من الكوكب، إلى القمر، فالشمس بدءاً من الظهور أو البزوغ وحتى الأفول.

٢–كما اتسمت مناظرة الخليل عليه السلام بسرعة البديهة وتبدو ذلك جلياً في سرعة انتقال الخليل عليه السلام إبان حواره مع النمرود إلى حجة أخرى لا تجري فيها المغالطة ولا يتيسر الخروج منها بمخرج مكابرة ومشاغبة وتلبيس وتمويه على الحاضرين؛ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾أي:انقطعت حجته ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ {البقرة / ٢٥٨}

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١ /١٣٥.

٣– حسن الاستدلال ويظهر ذلك فى النقاط التالية:

١– تنوع الأدلة وطريقة عرضها في المناظرة الواحدة فها هو الخليل عليه السلام إبان مناظرته مع النمرود ، يحتج بحجتين : أحدهما خفية (الأحياء والإماتة) ،والأخرى : ظاهرة مرئية(شروق الشمس وغروبها) ، ويستخدم لعرضهما طريقتين : الأولى : طريقة العرض المجرد (للحجة الخفية) ، والثانية :طريقة التحدي (للحجة الظاهرة المرئية) ،إقرأ وتدبر(إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)، و (قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ){البقرة / ٢٥٨}

٢– التدرج في الاستدلال إذ نجد الخليل عليه السلام في حواره مع

المشركين من عبدة الكواكب قد تدرج في استدلاله تدرجاً تصاعدياً، فبدأ بالكوكب، ثم القمر، فالشمس، و "الأخذ من الأدون فالأدون، مترقيا إلى الأعلى فالأعلى، له نوع تأثير في التقرير والبيان والتأكيد لا يحصل من غيره" .

٣- ترتيب الحجج ترتيب الذروة بإيراد أهمها وأقواها فى النهاية، وقد تبدى ذلك جلياً فى حوار الخليل عليه السلام مع النمرود؛ حيث جاءت الحجة القوية ﴿والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ فَبُهِتَ الَّذِي كفر في نهاية الأمر".[1] وقد يتساءل سائل ما فائدة المناظرة مع من لم يؤمن؟ فأقول له لإقامة الحجة عليه كما بين ذلك الله بقوله: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء:١٦٥ .فتكون المناظرة ليتبين لكل امرئ الطريق التي يسلكها، هل هي طريق نجاة أو طريق مهلكة فيسير فيها باختياره ويتحمل النتيجة المترتبة عليها كما بين ذلك العليم الحكيم بقوله: ﴿...لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأنفال:٤٢.

الثالثة: مناظرته لعبدة النجوم قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ... الآية﴾ إلى قوله﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ } الأنعام / ٧٤-٨٣}.

[1]) حوار إبراهيم. عليه السلام. مع الآخر في القرآن الكريم دراسة منهجية د / علي بهلول علي أحمد أستاذ الفكر بكلية التربية – جامعة الحديدة –اليمن إلي ندوة الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي التي تقيمها كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة

وتلك مناظرة آخرى لإبراهيم عليه السلام مع قومه الصابئة الذين يعبدون النجوم ، ويقيمون لها الهياكل في الأرض ، دخل معهم في مناظرة لبيان بطلان ربوبية هذه الكواكب المعبودة، ولم يشأ أن يقرر التوحيد مباشرة. بل جعل دعوى قومه موضوع بحثه ، وفرضها فرض المستدل لما لا يعتقده ، ثم كر عليها بالنقض والإبطال ، وكشف عن وجه الحق ، فحينما أظلم الليل ورأى النجم قال : هذا ربي فرضا وتقديرا ، وقال : أهذا ربي ، فلما غاب عن أعينهم علم أنه مسخر ليس أمره إليه ، بل إلى مدبر حكيم يصرفه كيف شاء ، ثم انتقل بهم في البحث إلى كوكب هو في أعينهم أضوأ وأكبر من الأول ، وهو القمر ، فلما رآه قال مثل مقالته الأولى ، فلما ذهب عن أعينهم تبين أنه ليس بالرب الذي يجب أن تأله القلوب، ويضرع العباد إليه في السراء والضراء ، ثم انتقل بهم إلى معبود لهم آخر أكبر جرماً من السابقين فلما أفل، قال: يا قوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، فاستدل بما يعرض لها من غيرها على أنها مأمورة مسخرة بتسخير خالقها فإذا كانت هذه الكواكب الثلاثة في نظرهم أرفع الكواكب السيارة وأنفعها قد قضت لوازمُها بانتفاء سمات الربوبية والألوهية عنها ، وأحالت أن تستوجب لنفسها حقاً في العبادة فما سواها من الكواكب أبعد من أن يكون لها حظ ما في الربوبية أو الألوهية ، ولذا أعلن إبراهيم في ختام مناظرته براءته مما يزعمون من الشركاء ، وأسلم وجهه لفاطر السماوات والأرض ومبدعهما، دون شريك أو ظهير ، وضمَّن إعلان النتيجة الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية ، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله) فإن ما فيه من البراءة من الشركاء نظير نفي الألهية الحقة عن الشركاء في كلمة التوحيد ، وبهذا يكون إبراهيم قد سنَّ للدعاة إلى الله أسلوبا متميزا في دعوة المنحرفين ، وذلك بالتنزل معهم بالتسليم بأباطيلهم فرضاً ، ثم يرتب عليها لوازمها الباطلة ، وآثارها الفاسدة ، ثم يكر عليها بالنقض والإبطال ، فإن الدعوة إلى الحق – كما تكون بتزيينه ، وذكر محاسنه – تكون بتشويه الباطل ، وذكر مساويه ومخازيه [1]

[1]) مقالة الشيخ عبد الرازق عفيفي في مجلة التوعية الإسلامية عدد ٦ ، ٧). بتصرف

١٢٤٠ يقول الإمام الآلوسي: [وهذا منه على سبيل الفرض وإرخاء العنان، مجاراةً مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب ، فإن المُستَدَل على فساده قولٌ يحكيه ، ثم يكرُّ عليه بالإبطال ، وهذا هو الحقُّ الحقيق بالقبول ...... ، وقيل : إنه عليه السلام ... قد مال إلى طريقٍ يستدرجهم إلى استماع الحجة ، وذلك بأن ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم ، مع أنَّ قلبه كان مطمئناً بالإيمان ، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإن لم يقبلوا .... فكلام إبراهيم عليه السلام كان من باب الموافقة ظاهراً للقوم، حتى إذا أورد عليهم الدليل المُبطل لقولهم كان قبولهم له أتمّ ، وانتفاعهم باستماعه أكمل ... ومما يقوي هذا القول أنه تعالى حكى عنه مثل هذا الطريق في موضعٍ آخر ، وهو قوله تعالى : ﴿فنظر نظرةً في النجوم فقال إني سقيم﴾، وذلك أنَّ القوم كانوا يستدلون بعلم النجوم على حصول الحوادث المستقبلة ، فوافقهم في الظاهر مع أنّه كان بريئاً عنه فى الباطن ، فمتى جازت الموافقة لهذا الغرض فلم لا تجوز فى مسألتنا لمثل ذلك"[1]..

[1]) روح المعاني – ٧ / ١٧٢ إلى ١٧٣ [مرجع سابق]

وقد اختلف المفسرون هل كان إبراهيم ناظراً أو كان منظراً[1] [والصحيح أن إبراهيم في هذا الموطن كان مناظرا لقومه لا ناظرا بنفسه ويدل على ذلك ١-: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ من قَبْلُ﴾ والمراد بالقَبْلية ما كَان قبل النبوة على الصحيح، وأي رشد آتاه الله إبراهيم إن لم يكن موحداً مؤمنا بالله.

٢- وقوله تعالى:(وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ) يقتضي نفي الشرك عن إبراهيم في كل مراحل عمره السابقة.

٣ – أن الله ذكر هذه الحادثة بعد إنكاره على أبيه وقومه، مما يدل على المناظرة.

٤ – أن الله تعالى ذكر القصة بعد أن ذكر منته على إبراهيم برؤية ملكوت السماوات والأرض ليكون من المؤمنين ، ولذلك ذكر الفاء التعقيبية (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ).

٥ – أن الله ذكر فيها ﴿وحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ مما يدل على قيام المناظرة بينه وبينهم.

٦ – أن الله تعالى ذكر في خاتمتها ﴿وتلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِه) فقال (على قومه) ولم يقل (على نفسه). وبهذا القول قال كثير من علماء السلف والخلف وهو الذي تدل عليه الأدلة.

مناظرة موسي عليه السلام مع قومه

وهذا نموذج آخر للمناظرة من خلال ما قصه الله جل وعلا في القرآن الكريم وهو مناظرات موسى عليه السلام مع فرعون، وأيضاً في حواره مع قومه، وليس المقام هنا مقام ذكر هذه الآيات والتطويل فيها وإنما الإشارة إليها، فقد ذكر تعالى ما كان بين فرعون وموسى من المحاجة والمناظرة، وما أقامه الكليم على فرعون اللئيم من الحجة العقلية المعنوية، ثم الحسية ،وذلك أن فرعون- قبحه الله- أظهر جحد الصانع تبارك وتعالى، وزعم أنه الإله ﴿ فحشر فنادي فقال أنا ربكم الأعلى﴾ ﴿وقال يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري﴾{ القصص/٣٨}وهو في هذه المقالة معاند كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ {١٤}﴾{ النمل/١٤} ولهذا قالوا لموسى عليه السلام على سبيل الإنكار لرسالته والإظهار أنه ما ثم رب أرسله﴿ وما رب العالمين﴾ { الشعراء/٢٣} لأنهما قالا له إنا رسول رب العالمين فكأنه يقول لهما ومن رب العالمين الذى تزعمان ١٢٤١ أنه أرسلكما وابتعثكما؟ فأجابه موسى قائلا ﴿رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ الدخان/٧} يعني رب العالمين خالق هذه السموات وهذه الأرض المشاهدة وما بينهما من المخلوقات المتجددة من السحاب والرياح والمطر والنبات والحيوانات التي يسلم كل موقن انها لم تخلق نفسها ولا بد لها من موجد ومحدث وخالق، وهو الله الذى لا إله إلا هو رب العالمين قال أي فرعون لمن حوله من امرائه ومرازبته"[1]

وتواصلت المناظرة حتى لجأ فرعون إلى حيلة العاجز حيث قال فيما حكاه القرآن الكريم عنهم: ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾.فهنا لم تعد مناظرة، وإنما صارت صراعاً ، وإنتهت المناظرة ، وجاء منطق آخر غير علمي ولا منطقي ، ولا نافع للأطراف المختلفة.

وفى هذه المناظرة من الدروس ما يفيد أنه- مع رفض فرعون أسلوب المناظرة البناءة ، الذى هو أساس التواصل والتفاعل مع الآخر- لأنه مهما كانت درجة الخلاف ففي المناظرة علاج ؛ هل

[1]) البداية والنهاية ١/ ٢٥٢

هناك أعظم جرماً من فرعون ؟ أجرَم في حق ربه جرماً عظيماً يوم أن نازع العظيم إلهيته فقال بهتاناً وزوراً فيما حكاه القرآن الكريم عنه : ﴿ أنا ربكم الأعلى﴾، ﴿وما علمت لكم من إله غيري﴾ ، وارتكب جرماً عظيماً في حق بني إسرائيل يوم أن اتخذ تلك السياسة الفرعونية الدموية بقوله:﴿..سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ {الأعراف:١٢٧}..وكان الله قادراً على أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر لكنه جل جلاله مع قدرته عليه أرسل إليه موسى وهارون عليهما السلام لمناظرته وزودهما بأدب مهم من آداب المناظرة فقال سبحانه :﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى*فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾{ طه : ٤٣-٤٤}.ولذا يوم أن دخل واعظ على خليفة فقال له إن واعظك ومشدد عليك فرد عليه الخليفة لن أقبل منك فقد أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فأوصاه بلين الكلام، وانظر إلى أثر هذه المناظرة فهذا فرعون مع أنه كان ظلوماً غشوماً معتداً برأيه حتى أنه سن المبدأ الفرعوني الذي قال فيه : ﴿ ...مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾{ غافر:٢٩} لم يملك أمام مبدأ المناظرة والحوار إلا أن يقبل به ويذعن له فدخل في حوار مع موسى خلده الله لنا في عدة مواطن من كتابه العظيم وبصيغ مختلفة يضيق المجال عن عرضها وتحليلها لنتعلم أسلوب الحوار في الدعوة إلى الله ، وقد يقول قائل إن الحوار مع فرعون لم يأت بنتيجة ؟ فأقول له من قال لك ذلك فهذا رجل من آل فرعون ممن حضر تلك المناظرات آمن وكتم إيمانه خوفاً من بطش فرعون لكنه كان مدافعاً عن موسى عند فرعون بأسلوب الحوار المنطقي أيضاً قد خلد الله لنا حواره يوم أن قال : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ* يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا.. ﴾ {غافر:٢٨،٢٩. } كما أن في مناظرات فرعون مثل واضح كيف يحرم ثمرة المناظرة البناء من يدخل المناظرة وهو قد اتخذ قراراً مسبقاً بعدم التسليم للطرف الآخر وإن كان الحق معه،[1]

[1] انظر الحوار أساس الوحدة / الدكتور عصام بن هاشم الجفري واستخراج الجدل من القرآن الكريم /٢٢-٢٣.

وتلك مناظرة أخرى من مناظرات آيات الذكر الحكيم التى نحن في أمس الحاجة إلى التذكير بها وهى ما قصه الله لنا من مجادلة النصارى للنبي ﷺ. فقد دخل النبي ﷺ في مناظرات مع أهل الأديان الأخرى، يهمنا أن نعرفها، أولا: نتفهم القرآن اكثر وهما يشمل من قصص، وثانيا: لنتعلم كيف تكون المناظرة مع أهل الكتاب خاصة فى عالمنا المعاصر، ونقرا فى سورة ال عمران من الاية ٥٨ الى الاية ٦٣ قوله تعالى: ﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴿٥٨﴾ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴿٥٩﴾ الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴿٦٠﴾ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴿٦١﴾ إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم ﴿٦٢﴾ فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين ﴿٦٣﴾ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴿٦٤﴾ وفى تفسيرها أن النبي ﷺ قد حاور أهل الكتاب وجادلهم بالحق وبالتي هي أحسن، فقد اجتمع عنده أحبار من اليهود ونصارى من أهل نجران فناقشهم وناقشوه، وحضرته يوماً جماعة من اليهود، فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن صفات نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، قال: "سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب عليه السلام على بنيه لئن حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعُنّي على الإسلام" قالوا فذلك لك، قال: "فسلوني عما شئتم"، فلما أخبرهم بما يعرفونه ويوقنون به قال: "اللهم اشهد عليهم"، ((رواه أحمد)).

وروى أن وفدا من نصارى نجران حاور رسول الله ﷺ وقالوا مالك تشتم صاحبنا قال: وما أقول؟ قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله، قال: أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب فإن كنت صادقاً فأرنا مثله، فنزل قوله تعالى:﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾.

كأنهم قالوا يا محمد لما سلمت أنه لا أب له من البشر وجب أن يكون أبوه

هو الله تعالى: فقال إن آدم ما كان له أب ولا أم ولم يلزم من ذلك أن يكون أبوه هو الله تعالى وأن يكون هو ابناً له تعالى فكذا القول فى عيسى عليه الصلاة والسلام.

ثم قال الله تعالى زيادة فى الإلزام وتأكيداً لإظهار الحجة عليهم ﴿ فمن حآجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾.

والمراد بالعلم البينات الموجبة له من الدلائل والبراهين مثل قوله تعالى:قبل ذلك﴿ ويكلم الناس فى المهد وكهلا﴾ وما أشبه ذلك مما يدل على أنه وجد بعد أن كان معدوماً، واستقر فى مضيق الرحم، ثم ترعرع وصار شاباً يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ: وإمن فسر العلم بالبينات والبراهين لأن العلم الذى حصل فى قلبه عليه السلام لا يوجب إفحامهم وانقطاع جدالهم وتبلتهم ولا إقدامهم على المباهلة والملاعنة بل الذى يوجب ذلك هو إيراد الدلائل عليهم بحيث يلجئهم إلى الاعتراف بالحق وقبوله أو إلى إصرارهم على إنكاره وتكذيبه عنادا واستكبارا مع أن نفس العلم لا يتصف بالمجئ والانتقال من موضعه. بخلاف الدليل فإنه يوصف بالورود والقيام.

والمراد بالمباهلة الملاعنة: بأن يقال بهلة الله أى لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم بأمر عيسى عليه السلام. ومعنى قوله﴿ تعالوا﴾أى بالرأي والعزم لابالأجسام والأشخاص، لأنهم حاضرون عنده عليه الصلاة والسلام بأجسادهم حيث أنهم يجادلونه ﷺ : فى شأن عيسى عليه السلام، وقوله﴿ ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ الآية أى ليدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وإنما قدمهم على النفس لأن الرجل يخاطر بنفسه لأجلهم ويحارب دونهم فلما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر فى أمرنا، ثم نأتيك غداً.

فخلا بعضهم ببعض، وقالوا للعاقب- وكان ذا رأي: ياعبد المسيح، ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لنهلكن، فإن أبيتم إلا الإقامة على دينكم وعلى ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا هذا

الرجل وانصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً للحسين آخذا بيد الحسن ، وفاطمة تمشى خلفه، وعلى بن أبى طالب خلفهما رضى الله عنهم وهو ﷺ يقول لهم: إذا أنا دعوت فأمنوا.

فقال أسقف نجران.- وهو اسم سرياني لرئيس النصارى وعالمهم، وهو غير العاقب- يا معشر النصارى: إني لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا،ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك، وأن نقرك على دينك، ونثبت على ديننا، فقال رسول الله ﷺ فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم. فأبوا فقال إني أنابذكم فقالوا: مالنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا، وعلى أن نؤدى إليك كل عام ألفى حلة، ألفاً فى صفر وألفاً فى رجب نؤديها للمسلمين، وعارية ثلاثين درعاً، وثلاثين بعيرا، وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها، والمسلمون ضامنون لها حتى يؤدوها، فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك وقال: " والذى نفسى بيده، إن العذاب تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادى ناراً ولا استأصل الله تعالى نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر، ولما حال الحول على النصارى حتى هلكوا كلهم"

ثم انقطعوا عن المباهلة وخافوها ،ولم يجرؤوا بعد مشاورة أهل الرأي فيهم على الدخول فى ساحتها، وذلك أعظم دليل ملزم وقاطع لشبههم ،وإلا فما كان أسهل عليهم وأيسر لهم أن يلاعنوا ويقولوا فى تضرع " لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم بأمر عيسى"(١)

و يستفاد من مناظرة النبي ﷺ لأهل الكتاب بالطريقة التي سلكها فى محاولة إقناعهم وجعلهم يرجعون إلى الحق، دروساً رائعاً فى أدب المناظرة. أهمها:

بناء المفاهيم الصحيحة، فقد كان الانحراف شائعاً لدى كل من اليهود والنصارى ومشركي العرب ومنكري الإلهية حول مفهوم الإلهية، فكان الأساس فى دعوة الأنبياء عليهم السلام تقتضي التركيز على بناء المفهوم الصحيح

---

١) نقلا عن الزام القرآن للماديين والمليين د. سيد أحمد رمضان المسير ١٠٤-١٠٧ ط ١٩٧٩م دار الطباعة المحمدية

١٢٤٦ للألوهية وبيان العقيدة الصحيحة والتى تكمن فى وجود خالق مبدع حكيم يتصف بكل كمال منزه عن كل نقص، وذلك عن طريق المناظرة بالتى هى أحسن والحجة والبرهان لإثبات هذه المفاهيم وترسيخها فى الأذهان. ويشير إلى ذلك العقاد بقوله:" أما القرآن فقد كان يخاطب أقواماً ينكرون، وأقواماً يشركون، وأقواماً يدينون بالتوراة والإنجيل ويختلفون فى مذاهب الربوبية. وكانت دعوته للناس كافة من أبناء العصر الذى نزل فيه وأبناء سائر العصور ومن أمة وسائر الأمم فلزم تمحيص القول فى الربوبية عند كل خطاب.... وقامت دعوته كلها على تحكيم العقل" (1)

ومن هنا نستطيع أن ندرك أن مناظرات الأنبياء مع المشركين كانت تخاطب العقول وتحرك هممها لكى تتخلص من تلك الأفكار الخاطئة وذلك بإثبات ما يناهضها من أن الله هو واجب الوجود، وأنه خالق كل شئ، وهو المهيمن على الكون بأسره.

ويتضح هذا: عندما ننتقل من النسق النظري فى القرآن الكريم إلى التطبيق التاريخي لأن البعد التطبيقي يعطي للجانب النظري معناه ويرسخه أكثر في النفس. فقد وصف القرآن حالة المشركين النفسية تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان موقفهم انفعاليا فجعلوا يردون بالتهم والتعجب؛ ليريحوا أنفسهم من عناء التفكير بالاتكاء على تقليد الآباء : ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ* أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ* وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ* مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ { ص: ٤-٧}.

فقابلهم الرسول بكل هدوء، وطلب منهم إبداء الدليل على ما هم عليه من شرك: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ { الأحقاف: ٤ } ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ {الأنعام:١٤٨}.

ولما عجز المشركون عن إقامة الدليل ، إذ مستندهم التقليد وإتباع الظن أقام الدليل عليهم : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ *لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ {الأنبياء:٢١-٢٤} ، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ {الإسراء: ٤٢} ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ {المؤمنون:٩١}.

ولما لم يجد الدليل العلمي العقلي على بطلان مُدَّعاهم ، أتاهم بأدلة حسية مادية من الواقع تثبت بطلان الوهية الأصنام : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ* وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ * ١٢٤٧ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ {الأعراف :١٩١-١٩٥} ، ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ {الفرقان:٣}، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣] (1).

ومن النماذج لذلك بناء مفهوم النبوة، وقول المشركين: إن البشر لا يكون رسولا.وهى من المفاهيم الخاطئة التى كانت شائعتا لدى الماديين المشركين. حيث كانت حجتهم أن الرسول بشر وليس ملكاً . ولو بعث الله إلى الخلق

---

(1) وكتاب –الله– الأستاذ العقاد – ٢٣٣

(1) منهج الحوار فى القرآن الكريم أ. عبد الرحمن حللى / ٣

رسولاً لوجب أن يكون ذلك الرسول واحداً من الملائكة .

فأوضح القرآن الكريم أن هذه دعوى قديمة، وأنها كانت تثار فى وجه دعاة الإيمان من الأنبياء والمرسلين، فقد قيلت لنوح عليه السلام﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾{ المؤمنون:٢٤ }

فواضح من محاوري نوح لكونهم من السادة سيطرت عليهم فى المحاورة نزعة التعالي والتركيز على معنى التميز والمفاضلة بين الناس، فأول ما بدأوا به هو قولهم فيما حكاه القرآن الكريم عنهم: ﴿ما هذا إلا بشرٌ مثلكم﴾.

وهذه الدعوى قيلت لصالح عليه السلام﴿ ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ { الشعراء: ١٥٤} وقيلت لموسى وهارون عليهما السلام. فقالوا:﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ {المؤمنون: ٤٧}، وقد قيلت لمحمد ﷺ وستقال ما دام هناك كفر. وقد روي أنه كان يقال للنبي ﷺ " لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك "[1] فكان الجواب على هذه الدعوى □ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا﴾

هكذا كان" ادعاء المكيين من الماديين المشركين بأن رسالة الله لا يأتي بها إنسان، إنما يكلف بها ملكا من الملائكة، وهو ادعاء كان شائعاً بين المعارضين للرسل السابقين ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة﴾ {الفرقان: ٣١}والذين لا يرجون لقاءنا هم الماديون الذين ينكرون الآخرة فى عهد كل رسول"[2]

فبين لهم الحق أن إنزال الملك وإن كان يدفع الشبهات المذكورة إلا أنه يقوي الشبهات من وجه آخر ، وذلك لأن أي معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك ، ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة والعلم لفعلنا مثل ما فعلته أنت ، فعلمنا أن إنزال الملك وإن كان يدفع الشبهة من الوجوه المذكورة لكنه يقوى الشبهة من هذه الوجوه يقول الإمام الرازي " إنا إذا جعلنا الملك في صورة البشر فهم يظنون كون ذلك الملك بشراً فيعود سؤالهم أنا لا نرض برسالة هذا الشخص. وتحقيق الكلام : وتحقيق الكلام : أن الله لو فعل ذلك لصار فعل الله نظيراً لفعلهم في التلبيس ، وإنما كان ذلك تلبيساً لأن الناس يظنون أنه بشر مع أنه ليس كذلك وإنما كان فعلهم تلبيساً لأنهم

[1]) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١

[2]) تفسير سورة الأنعام – د. محمد البهي/ ٢٢

يقولون لقومهم أنه بشر مثلكم والبشر لا يكون رسولاً من عند الله تعالى[1]".

هذا واقد وردت مناظرات ومحاورات كثيرة عن النبي ﷺ وذكرها يطول ، لكن المتأمل فى مناظراته صلى الله عليه وسلم يجد أنه كان يناظرا لمؤمنين، ويناظر المنافقين، ويناظر المشركين وأهل الكتاب، في جميع ميادين الحوار ومواضيعه. وهذه المناظرات تذخر بالفوائد التي نستفيد منها في ادب المناظرة، بالأسلوب النبوي الراقي والبديع .الذى يجب أن يلتزم به في مناظرتنا وجدالنا مع الاخرين فقد كان ﷺ يتعامل مع المناظر بالبر والاحترام ، ويعطيه مكانه،ومناقشة القضايا الكبري هو اهم ما يجب ان نحفل به و ان اتفقنا فيها فالاتفاق في الفروع بعدها سهل . وهنا تظهر عظمة النبي صلى الله عليه وسلم فقد صل إلى ذروة ما يحلم به المناظر الحضاري وهو أن يكمل الآخر رأيه دون مقاطعةأو انفعل، كما أن المتبع للمناظرات النبوية ، يرى أمثلة رائعة في فن المناظرة لاكتساب محبة الناس. لذا نرى أن رسولنا الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، استطاع أن يدخل قلوب البشر، من رآه وحتى من لم يره. "

[1]) التفسير الكبير للرازي ١٦/١٦١-١٦٢

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لأدب البحث والمناظرة فى ضوء آيات الذكر الحكيم، يتبن منه استمداده من القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما يتبن عظمة وكمال منهج القرآن الكريم فى الاستدلال، وفى ارشاد الناس على وجه تفصيلي إلى أرقى أنواع طلب الحق والتواصل والتفاعل بالمحاورة والمجادلة بالتى هى أحسن، والمناظرة الموضوعية، وفق ميزان حكيم تنتظم به جميع أنواع المناظرات.بأدب جم وخلقٍ رفيع. كما يتبين أن حاجة الإنسان ضرورية إلى معرفة أصول هذا العلم الهادف لأنه طبيعته الجدل، ولان المناظ والمجادلة تقع منه بصفة متك يخالفه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعي

والحمد لله رب العالمين

-القرآن الكريم.

– استخراج الجدل من القرآن الكريم / الإمام ناصح الدين أبي الفرج عبد الرحمن الأنصاري المعروف بابن الحنبلي. ط دار الإعلام الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

– الإحكام في أصول الأحكام: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٠٤

– إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد الناشر: دار المعرفة – بيروت

– التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ تحقيق: د. محمد رضوان الداية

– المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٧ تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة

– تيسر الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان/ للشيخ عبد الرحمن بن سعدي ط مؤسسة الرسالة.

– ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة / عبد الرحمن حسن جبنكة الميداني/ الطبعة السابعة ط دار القلم، دمشق

– مفتاح السعادة: ط دار الكتب الحديثة

– أصول البحث والمناظرة- د. طلعت الغنام/ مطبعة الفجر الجديد

– والمقدمة، ابن خلدون ط. القاهرة، باب الجدال/. ٤٥٧-٤٥٨,٢.

– لسان العرب- ابن منظور- مادة جدل – دار المعارف

– معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم –للراغب الأصفهاني ط دار الفكر بيروت

– الكفاية فى الجدل – إمام الحرمين الجويني تحقيق د. فوقية حسين ط الحلبي ١٩٧٩

– بهجة الخاطر ونزهة الناظر

الفروق اللغوية والاصطلاحية/ للشيخ يحيى بن حسين البحراني/ تحقيق السيد أمير رضا عسكري زادة: ط مؤسسة الطبع والنشر للآستانة الرضوية.

– الحوار والمناظرة في القرآن الكريم، خليل عبد المجيد زيادة/ القاهرة : دار المنار ١٤٠٦هـ.

– الحوار : أصوله المنهجية وآدابه السلوكية أحمد بن عبد الرحمن الصويان/ الرياض: دار الوطن ١٤١٣هـ.

– تعليق على الرسالة الموضوعة في آداب البحث/ أحمد مكي: / جمعية النشر والتأليف الأزهرية ١٩٣٥م.

– أدب الحوار والمناظرة/ علي جريشة / المنصورة : دار الطباعة للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩١م.

– أسس وتقاليد الحوار العلمي في التراث العربي، /عبد الستار عز الدين الراوي / جامعة بغداد ١٩٨٩م.

– التفسير الكبير – للإمام فخر الدين الرازى ط دار الفكر بيروت ط أولى سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م

– تاريخ الجدل – للإمام محمد أبو زهرة/ دار الفكر العربي

– نحو نظرية للتربية الإسلامية / للمستشار على جريشة ط مكتبة وهبة١٩٨٦م

– انظر الحوار الإسلامي المسيحي /بسام داود عجك ط در قتيبة ط أولى ١٩٩٨م

– المناظرات الفقهية، عبد الرحمن بن ناصرالسعدى / دار الآثار القاهرة ١٤٢٣هـ .

– كتاب الجدل : صناعة الجدل على طريقة الفقهاء لأبي الوفاء علي بن محمد بن عقيل البغدادي تحقيق علي عبد

العزيز بن علي العميرين، الرياض : مكتبة التوبة ١٤١٨هـ .

– المعجم الوسيط / إبراهيم ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحي ، محمد خلف الله ط٢ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٣٩٢هـ)

– انظر أساسيات المنطق/ الشيخ محمد صنقور على ، ط أولى ٢٠٠٦م طبهمن آرا.

– انظر روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- شهاب الدين الألوسى ط مكتبة دار التراث / المركز الإسلامي للطباعة والنشر.

– تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – للشيخ مصطفى عبد الرازق- ط لجنة التأليف والترجمة سنة ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.

– فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي الناشر: المكتبة التجارية الكبرى. مصر الطبعة الأولى ، ١٣٥٦

انظر الحوار فى القرآن، السيد محمد حسين فضل الله / ط دار الملاك بيروت لبنان ط السادسة ٢٠٠١م

– حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود د/ محسن بن محمد/ ط دار الدعوة

١٢٥٢ - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، - د.طه عبد الرحمن ط. المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، الدار البيضاء، المغرب،

- الفقيه والمتفقه : أحمد بن علي بن ثابت البغدادي / الناشر:دار الكتب العلمية- بيروت- تحقيق: إسماعيل الأنصارى ط ١٤٠٠هـ.

- كليات أبي البقاء الكفوي الحنفي ت سنة ١٠٩٤هـ ،، طبعة حجرية سنة ١٢٨٤هـ / ومؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٢م

- المنقذ من الضلال - للإمام الغزالى -ط مكتبة الأنجلوا المصرية ١٩٥٥م

- الموفقات للإمام الشاطبي تحقيق: عبد الله دراز ط دار المعرفة . بيروت

- آدب البحث والمناظرة / للشيخ محمد الأمين الشنقيطى/ ط مطبعة العلم بجدة.

- بجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم/ صديق بن حسن القنوجي دار الكتب العلمية - بيروت ، /تحقيق : عبد الجبار زكار / والتعاريف ١٥٨.

- شرح الرشيدية / للشيخ عبد الرشيد الجونغوري الهندي : / مكتبة الإيمان

- آداب المسامرة في البحث والمناظرة تأليف وجمع محمد على سلامة ، دار الطباعة الحديثة.

- الموافقات في أصول الفقه ، للشاطبي ٢٥/١ الناشر : دار المعرفة - بيروت/تحقيق : عبد الله دراز

- أسلوب الحوار في القرآن الكريم : / إدريس أوهنا . الرباط : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٥ .

- حوار إبراهيم. عليه السلام. مع الآخر في القرأن الكريم دراسة منهجية د / علي بهلول علي أحمد أستاذ الفكر بكلية التربية - جامعة الحديدة - اليمن إلي ندوة الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي التي تقيمها كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة

- الزام القرآن للماديين والمليين د. سيد أحمد رمضان المسير ١٠٤-١٠٧ ط ١٩٧٩م دار الطباعة المحمدية